جامعة عبد الرحمان ميرة- بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الهجرة والمنفى في رواية "أن ترحل" للطاهر بن جلون

- مقاربة سوسيو ثقافية -

مذكرة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

صبرينة ططاح

ليدية موجب

تاريخ المناقشة 23 جوان 2025

أمام اللجنة المتكونة من

الأستاذة وهيبة صوالح، جامعة عبد الرحمان ميرة- بجاية ----------رئيسة

الأستاذ يوسف رحيم، جامعة عبد الرحمان ميرة- بجاية ---------- مشرفا ومقررا

الأستاذة مسالي ليندة، جامعة عبد الرحمان ميرة- بجاية---------- ممتحنا

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله الذي منَّ علينا بنعمة العلم والإيمان وأتاح لنا إتمام هذا البحث بعد جهد وتوفيق منه سبحانه.

نتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف " **يوسف رحيم** " الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته القيّمة ونصائحه الثمينة، فكان خير معين في إتمام هذا البحث.

ونشكر كل الأساتذة والمقيمين في جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية بقسم اللغة والأدب العربي الذين ساهموا في تكويننا العلمي.

ولا ننسى أن نشكر كل أفراد الأسرتين، خاصة الأولياء والأخوة كما لا ننسى الأصدقاء.

إهداء

الحمد لله وكفى والصلاة على الحبيب المصطفى وأصله ومن وفي أما بعد

الحمد لله الذي وفقني لتثمين هذه الخطوة في مسيرتي الدراسية بمذكرتي هذه وثمرة النجاح بفضله تعالى

مهداة إلى من كانت دعواتهم زادي وصبرهم سندي والدي العزيز" سعيد" رحمه الله ونبع الحنان" شفيعة" حفظهما الله اللذين علماني أن الإرادة تصنع المعجزات ونالي النور في كل العتمات

إلى إخوتي " ماسينيسا " ،" يوبا " ، " ظريفة " وإلى زوجي " سفيان " الذين دعموني خلال هذا المشوار

وإلى صديقاتي" شيماء"،" ريما"،" سيهام"،" نورية"، "كلثوم"،

إلى زميلتي وشركتي في هذا العمل "صبرينة"

وكل من شاركني الطريق، أهدي هذه المذكرة إليكم بمحبة ووفاء وإمتنان

ليديا

إهداء

بعد مسيرة دراسية دامت سنوات حملت في طيلتها الكثير من الصعوبات والشقة والتعب ها أنا اليوم أقف على عتبة تخرجي أقطف ثمار تعبي وأرفع قبعتي بكل فخر فالهم لك الحمد بعد الرضا لأنك وفقتني على إتمام هذا العمل

أهدي ثمرة جهدي

إلى من أحمل اسمه بكل فخر إلى من دعمني بلا حدود وأعطاني بلا مقابل

إلى من علمني أن الدنيا كفاح وسلاحها العلم والمعرفة إلى من غرس في روحي مكارم الأخلاق داعمي الأول في مسيرتي وسندي وقوتي بعد الله أبي الغالي .

إلى من جعل الله الجنة تحت أقدامها إلى من علمتنّي الأخلاق قبل الحروف إلى قرة عيني وأعز ما أملك إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعائها سر نجاحي أمي

إلى من أحملهم في قلبي وأفتخر بهم إلى من رزقت بهم سندا في الحياة وملاذي الأول والأخير إخوتي

إلى كل الأساتذة الذين نهلت من علمهم واستفدت من خبراتهم إلى الأستاذ المشرف " يوسف رحيم" الذي منحني الدعم .

إلى رفقاء الدرب الذين ساندني في رحلتي وجعلوا التحديات أسهل

إلى نفسي التي راهنت على النجاح اصبري وصابري فلا يزال الطريق طويل.

ططاح صبرينة

مقدمة

مقدمة

تعد الرواية العربية نوعا من أنواع السرد الأدبي ومن أبرز الأجناس الأدبية في الأدب العربي الحديث والمعاصر، وشكل من أشكال الأدب النثري الطويل الذي نشأ في رواية أحضان الثقافة العربية متأثرا بالرواية الغربية، إذ تتناول الرواية قضايا الإنسان والمجتمع وتعرض أحداثا وشخصيات من خلال بناء سردي متماسك. وهي أيضا وسيلة من الوسائل التي يسعى مؤلفها إلى تصوير وترجمة أوضاع وواقع المجتمع العربي إذ يقدم أحداثا متخيلة أو واقعية من خلال شخصيات متفاعلة.

وبالتالي شهدت الرواية العربية تطورا كبير منذ نشأتها وتناولت موضوعات متنوعة وعكست التحولات الاجتماعية والثقافية في العالم العربي، وقد أولى العديد من الروائيين المغاربة اهتماما كبيرا وبالغا بهذا الجنس الأدبي، فقد عالجت أعمالهم الإبداعية قضية الهجرة وعبروا عن تجارب الضياع والبحث عن الوطن البديل.ومن الكتاب الذين ساهموا في هذه البراعة السردية المصورة لأحوال الناس نجد الكاتب المغربي الطاهر بن جلون في روايته "**أن ترحل**" التي طرح من خلالها قضية الهجرة وواقع الشخصيات التي عانت من فعل النفي والتهجير وحاول أن يلمس الواقع وتجول فيه ليعيش مع الناس تجربتهم ومشاكلهم في الحياة.

انطلاقا من هذا وقع اختيارنا في مذكرتنا على البحث عن الهجرة والمنفى في رواية" **أن ترحل**" لطاهر بن جلون ودراسة الأبعاد السوسيو ثقافية لهذه الرواية.

أثار هذا الموضوع الجدير بالاهتمام لطرح إشكالية يعد بحثنا إجابة لها وهي:

كيف وظف بن جلون الكتابة الروائية في معالجة قضايا المجتمع عامة وقضية الهجرة والمنفى خاصة؟

ما هي الأبعاد السوسيو ثقافية في رواية بن جلون ؟

كان سبب اختيارنا لهذا الموضوع دون غيره رغبة منا وفضول لاكتشاف محتوى الرواية في أبعادها الاجتماعية والثقافية وما يعيشه المجتمع العربي من واقع مزري دفع الكاتب لتعبير عنه من خلال رواية "أن ترحل".

يعد موضوع الهجرة والمنفى في رواية أن ترحل موضوعا جدير بالاهتمام وله أهمية كبيرة كونه يهدف إلى إبراز مظاهر الهجرة والمنفى في الرواية واكتشاف كيفية تمثيل الهجرة كمأساة اجتماعية ونفسية، إضافة إلى الكشف عن كيفية معالجة الرواية لقضايا الهوية والانتماء والتعريب وما يرتبط بها من إشكاليات معاصرة كالصراع الثقافي.

ولدراسة هذا الموضوع اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج السوسيو ثقافي الذي يهتم بالسياق الاجتماعي والثقافي الذي تدور فيه الأحداث و المنهج الوصفي التحليلي في ظل وصف الشخصيات والأمكنة ووصف الواقع المغربي، وقد بنينا موضوعنا على خطة تقوم على مقدمة، وفصلين فصل نظري وآخر تطبيقي، وخاتمة، المقدمة قدمنا عرضا عاما للموضوع، أما الفصل الأول قسمناه إلى ثلاثة مباحث، المبحث الأول تحدثنا فيه عن أدب الهجرة والمفاهيم المتعلقة بها وقدمنا أسباب الهجرة ثم أنواع الهجرة ثم تحدثنا عن أدب الهجرة وموضوعات أدب الهجرة.

أما المبحث الثاني تحدثنا فيه عن مفهوم المنفى عند إدوارد سعيد ثم تحدثنا عن النفي وأثاره ثم تجربة النفي وتأثيراتها على الإنسان وذكرنا أنواع النفي. تناولنا فيه كل ما يتعلق بدراسة المنفي من خلال تيمة المنفى في الرواية العربية، ثم قدمنا الروايات التي تتحدث عن المنفى وقمنا باستخراج أهم الأبعاد الاجتماعية والثقافية لها.

أما الفصل الثاني تناولنا فيه الجانب التطبيقي ركز على دراسة الأبعاد السوسيو ثقافية في رواية أن ترحل لطاهر بن جلون جاء في أربع مباحث المبحث الأول تحدثنا عن الكاتب الطاهر بن جلون من خلال سيرته الذاتية وعرضنا مضمونا لرواية أن ترحل ثم تطرقنا إلى أهم القضايا التي عالجتها الرواية أما في المبحث الثاني استخرجنا أهم الأحداث والشخصيات وأبعادهما الاجتماعية والثقافية، أما المبحث الثالث فدرسنا الزمان والمكان ودلالتهما في الرواية.

أما في الخاتمة ذكرنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها وبعض الاقتراحات والتوصيات المتعلقة بالموضوع.

اعتمدنا على مجموعة من المصادر من المراجع التي أعنتنا منها سرديات المنفى "محمد الشحات"، تأملات حول المنفى "لإدوارد سعيد"، مقدمة في دراسات الهجرة "أيمن زهري".

كأي باحثين واجهتنا بعض العراقيل والصعوبات منها نقص المراجع والمصادر وضيق الوقت الذي لم يسمح لنا بالتعمق أكثر في البحث.

في الختام نرجو أن نكون قد وفقنا وما توفيقنا إلا بالله كما نتقدم بخالص الشكر والامتنان للدكتور المشرف "يوسف رحيم" الذي كان نعم الموجه طيلة فترة إنجاز هذا البحث ونتوجه أيضا بالشكر للسادة أعضاء اللجنة المناقشة كل الشكر والتقدير على ما قدموه من تصويبات.

الفصل الأول

أدب الهجرة والمنفى (المفـاهيم والتيمـات)

- المبحث الأول: أدب الهجرة والمفاهيم المتعلقة به
- المبحث الثاني: أدب المنفى، مفـاهيمه وموضوعـاته و تيمة المنفى في الرواية العربية

المبحث الأول: أدب الهجرة والمفاهيم المتعلقة به

01- مفاهيم عامة

أ. مفهوم الهجرة

تعرف الهجرة في قاموس المحيط لغة على أنّها " الهاء والجيم والراء أصلان يدل أحدهما على قطيعة وقطع والأخر على شد شيء وربطه فالأول الهجر ضد الوصل وهجر النبي وتركه وفي الحديث يقول النبي صلى الله عليه وسلم (لا هجرة بعد ثلاث). فالهجرة في الأصل مشتقة من الهجر وهو القطع والترك[1] ."

وفي الاصطلاح "هي الانتقال المكاني أو الجغرافي لفرد أو لجماعة أنه لا يربط المصطلح بأي قيم أو مشاعر داخلية للاتصال وإنما هو مجرد وصف للمظهر الخارجي "[2]

وبالتالي الهجرة هي حركة الإفراد أو الجماعات من مكان إلى أخر سواء داخل بلد واحد أو بين بلدان مختلفة بهدف الاستقرار أو العمل أو البحث عن فرص أفضل للحياة .

ب.مفهوم المنفى

جاءت كلمة المنفى في معجم مقياس اللغة " نَفَى: النون والفاء والحرف المعتل أصيل يدل على تعرية شيء من شيء وإبعاده منه".[3]

" تتفق أغلب المعاجم العربية حول كلمة "المنفَى" أي النفْي : مكان النفْي، والجمع مناف والنفْي: خلاف الإيجاب"، أما في المعجم الانجليزية فتصل الكلمة بدال الخروج مطلقا، فالمنفِي هو من يرغم على الخروج من بلدته أو مدينته، وبخاص لمدة زمنية طويلة "[4]

1 القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب أبادي، دار الفكر، بيروت،14ه 1999،م،ص 446 .

2 ابن منظور لسان العرب، طبعة دار إحياء التراث العربى، بيروت لبنان 1999م.

3 أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقياس اللغة، ترجمة عبد السلام محمد هارون، ج5 ،دار الفكر، دمشق/سوريا، 1399 ه/1979 م، ص456 .

4 محمد الشحات، سرديات المنفى، الرواية العربية بعد عام1967 ، دار أزمنة للنشر والتوزيع، عمان/الأردن، ط1 ، سنة 2006 ،ص22

فالمنفى هو إجبار الشخص على مغادرة وطنه أو منعه من العودة إليه لأسباب سياسية أو عقائدية أو عرقية كما يعرفه محمد الشحات في كتابه "سرديات المنفى" على أنه " إبعاد عن الوطن ونبذ ونزع للألفة والمنفى منزلة بين منزلتين ز مكان مؤقت يقع بين زماكنين أحدهما ماضي صيغت ملامحه البعد والآخر وشيك الحدوث في المستقبل القريب. هكذا يكون المنفى هو البرزخ أو هو الاستثناء بين الحياة والموت، أنه الحياة البينية لكثير من البشر والفنانين والكتاب في مجمعاتنا المعاصرة. إما المنفِي هو المنبت الذي لا جذور له، وهو الأبتر الذي لا يرجى منه خير"[1].

يشبه محمد الشحات المنفى "بالبرزخ" أي الحاجز بين الحياة والموت أنه فترة استثنائية يعيشها العديد من الناس بما فيهم الفنانون الكتاب في مجمعتنا المعاصرة.

فقد نجد إدوارد سعيد في معرض حديثه عن بواعث النفي يقول " إن المنفى هو أحد الأقدار مدعاة للكآبة، وفي أزمنه ما قبل العصر الحديث كان الابتعاد عقابا مركبا بصفة خاصة لأنه لم يكن يعني فقط أعواما يعيشها الإنسان تائها بدون هدف بعيدا عن الأسرة، وعن الأماكن المألوفة ويعني أيضا أن يكون أشبه بمنبوذ دائم لا يشعر أبدا كأنه بين أهله وخلانه ويتفق مع محيطه ولا يتعرى عن الماضي لا يذيقه الحاضر والمستقبل إلا طعم المرارة"[2]. إن تحديد مفهوم المنفى شيء صعب، فمن الصعب رسم معنى دقيق له وبتعبير بسيط المنفى هو الإقامة الاضطرارية والقسرية والإجبارية في بلد أخر.

ج. مفهوم الحنين:

الحنين هو شعور إنساني معقد يتجاوز مجرد الشوق إلى الوطن فهو يشمل الشوق إلى كل ما فقدناه أو ابتعدنا عنه، فالحنين إلى الوطن شعور فطري متجذر في أعماق الإنسان وفي النفس البشرية فالحنين إلى الأوطان يرتبط "بكرامة الإنسان واعتزازه وكانت الغربة عن الوطن هما شديدا ويروى أنه قيل

1 محمد الشحات، سرديات المنفى، ص 23

2 إدوارد سعيد، صور المثقف ، محاضرات ريث سنة 1993 ،ترجمة غسان غصن، دار النهار، بيروت، ط 3 ،سنة 1997، ص 27

لأعرابي: ما الغيطة؟ قال الكافية ولزوم الأوطان والجلوس مع الإخوان. وقيل فما الدال؟ قال التنقل في البلدان والتنحي الأوطان"[1] .

02- أسباب الهجرة

للهجرة أسباب متعددة أدت إلى ظهورها تتمثل في " البحث عن عمل أفضل من العمل السابق وهو الغالب والهدف والسبب الرئيسي للهجرة من الدول الأم إلى دول أخرى وكذلك الهروب من حالات الحرب في الدول التي تعاني من الحروب بشكل دائم واللجوء السياسية والانتماء عند المعاناة من اضطهاد فكري أو ديني أو اجتماعي أيضا الهروب من الكوارث الطبيعية، مثل الزلازل والبراكين والفيضانات وغيرها"[2].

من خلال هذه الأسباب الشاملة للهجرة نصل إلى أسباب متنوعة، أخرى التي يمكن تلخيصها في الهروب من البطالة والفقر في البلد الأصلي، السعي وراء مستوى معيشة أعلى في دول أكثر تقدما، لم شمل العائلة والعيش مع الأقارب والبحث عن بيئة اجتماعية أكثر أمانا ورفاهية وكذلك الحصول على مستوى تعليمي أفضل .

تعد الهجرة الانتقال إلى دولة أخرى من التغيرات الكبرى والجوهرية للحياة بعد الوصول إلى البلد الجديد يمر كل مهاجر بعملية الهجرة والتي يحاول من خلالها المهاجرين التخلص من جميع الآثار الداخلية التي لحقت بحياتهم نتيجة لتغير أوضاعهم و"اضطرار اللاجئين إلى مغادرة وطنهم بسبب الحرب أو الاضطهاد وغالبا ما يضطروا إلى ترك ممتلكاتهم بسرعة والمغادرة أو قد لا يمتلكوا حتى الوقت للتحضير لرحيلهم وفي بعض الأحيان يستغرقون فترات طويلة للتحضير للهروب دون إخبار أي شخص بالإضافة إلى أنهم غالبا ما يكونوا قد شهدوا بالفعل العديد من الأمور الصعبة وعاشوا مواقف مؤلمة في بلادهم . فضلا عن أن الرحلة إلى البلد الجديد قد تكون طويلة وشاقة ومن المحتمل

1 يحي الجبور، الحنين و الغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان، دار مجد للنشر والتوزيع، عمان /الأردن، ط1428،1 ه/2008 م، ص9 .

2 الموسوعة العربية العالمية، المملكة السعودية،مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، سنة 1999

أن الكثير منهم سكنوا في مخيمات للاجئين علاوة على ذلك يضطر اللاجئون في كثير من الأحيان إلى تجاهل مشاعرهم وكتبها من اجل القدرة على مواجهة كل الأمور التي تمر بهم وتخطيها والاستمرار في المثابرة ويخطط المهاجرون من ناحية أخرى لرحيلهم فهم عادة ما يسعون إلى تحسين حياتهم وأوضاعهم بطريقة أو بأخرى لذلك قد ينتقلون إلى بلد أخر للدراسة أو لضمان مستقبل أفضل لجميع أفراد الأسرة أو لمجرد تجربة العيش في مكان جديد وبيئة متميزة وفي بعض الأحيان يقرر المهاجرون المغادرة أيضا بسبب ظروف ألمت بهم وقد يكونوا واجهوا تجارب أليمة وعلى الرغم من كل ذلك عادة ما يكون لديهم الوقت الكاف والفرصة للتخطيط لرحيلهم وتوديع أحبائهم وترتيب جميع نواحي حياتهم"[1]

03- أنواع الهجرة

يتجلى في كتاب أيمن الزهري "مقدمة في دراسات الهجرة أنواع عديدة للهجرة طِبقا لبعض التصنيفات المتعارف عليها في أدبيات دراسات الهجرة فصنفها في:

أ. الهجرة الدولية الخارجية :"

تعرف الهجرة الدولية الخارجية بأنها انتقال الأفراد من دولة إلى أخرى بغرض الإقامة الدائمة أو شبه دائمة. ينطوي تعريف الهجرة الدولية على فرق جوهري بينه وبين الهجرة الداخلية وهو عبور الحدود الدولية أخرى غير دولة أخرى غير دولة الإقامة المعتادة للمهاجر"[2].

ب.الهجرة الداخلية:

"يمكن تعريف الهجرة الداخلية على أنها انتقال الأفراد من مكان لأخر داخل حدود الدولة الواحدة بغرض الإقامة الدائمة أو شبه دائمة"[3] .

1 تقوية صحتك، النفسية https mieli; fi ar

2 أيمن زهري، مقدمة في دراسات الهجرة، مكتبة الأنجو المصرية، سنة 2023 ، ص 18 .

3 المرجع نفسه .

ج. الهجرة الطوعية الاقتصادي:

"الهجرة الطوعية وتسمى أيضا الهجرة الاقتصادية هي مصطلح يعبر عن الهجرة من منطقة إلى أخرى أو من دولة إلى أخرى بكامل الإرادة و بشكل حر بناءا على قرارات الفرد نفسه وهي هجرة اختيارية مبنية على بعض الأسباب التي يقررها الشخص المهاج"[1].

د. الهجرة القسرية:

"الهجرة القسرية هي هجرة إجبارية بطبيعتها هي هجرة اضطرارية تنتج عادة جراء الحروب والصراعات السياسية أو بسبب الاضطهاد العرقي أو الديني أو بسبب عوامل طبيعية ... وأحيانا بسبب المشروعات التنموية الكبرى . والهجرة القسرية إذا حدثت داخل نطاق الدولة الواحدة تسمى "نزوحا" ويطلق على الشخص القائم بفعل الهجرة "نازح" في مجال قامته الجديد داخل نفس الدولة إذا حدثت دوليا تسمى لجوء[2].

ه. الهجرة الدائمة:

" يقصد بالهجرة الدائمة أو الهجرة شبه الدائمة الهجرة بغرض الإقامة بشكل دائم في بلد المقصد أو الإقامة بشكل دائم في بلد المقصد أو الإقامة لفترة طويلة ويسمى هذا النوع من الهجرة بالهجرة الاستيطانية، بمعنى أن المهاجر يكون عادة راغبا في الاستيطان في بلد المقصد والحصول على جنسيته"[3].

1 ، أيمن زهري، مقدمة في دراسات الهجرة، مكتبة الأنجو المصرية، سنة 2023 ، ص 19 .

2 المرجع نفسه، ص 18 .

3 المرجع نفسه.

و. الهجرة المؤقتة:

"يمكن تعريف الهجرة المؤقتة بأنها تلك الهجرة التي ينوي القائمون بها العودة مرة أخرى إلى بلد المنشأ أو الهجرة إلى بلد آخر، أو تلك الإقامة في بلد أخر التي لا يمكن بطول مدتها الاستيطان في ذلك البلد"[1].

ز. الهجرة النظامية:

"وتسمى أحيانا قانونية أو موثقة، وهي التي تتم من خلال إتباع تعليمات الدخول والإقامة مثل الحصول على تأشيرة دخول إذا كانت دولة المقصد تطلب ذلك."[2]

ح. الهجرة غير نظامية:

" وتسمى أيضا غير قانونية وغير نظامية وغير شرعية وهي تعني دخول دولة ما دون إتباع الإجراءات القانونية الأزمة مثل التسلل عبر الحدود أو الدخول لدولة ما بشكل قانوني ثم البقاء في دولة المقصد بعد انتهاء مدة التأشيرة المسموح بها"[3].

04- المهاجرون وتصنيفهم

عرف أيمن زهري في كتابه "مقدمة في دراسات الهجرة " المهاجرين وتصنيفهم أن "على الرغم من ازدياد الحديث حول الهجرة سواء على المستوى الوطني أو على المستويات الإقليمية والدولية إلا إن أدبيات الهجرة لا تتفق على تعريف محدد للهجرة و يمثل تعريف المنظمة الدولية للهجرة التعريف الأوسع والشامل للهجرة بشكل عام إذ ينص ذلك التعريف على أن المهاجر هو أي شخص ينتقل أو سبق وانتقل عبر الحدود الدولية أو ضمن حدود الدولة ذاتها بعيدا عن محل إقامته المعتاد . بغض

1 أيمن زهري، مقدمة في دراسات الهجرة، مكتبة الأنجو المصرية، سنة 2023 ، ص 19 .

2 المرجع نفسه ،ص 20

3 المرجع نفسه.

النظر عن الوضع القانوني للشخص ما إذا كان التنقل طوعيا أو قسريا أو الأسباب التي أدت إلى التنقل أو مدة الإقامة "[1].

من خلال هذا التعريف يمكننا أن نتحقق على مختلف النقاطّ:

أولا: إن صفة المهاجر لا ترتبط بالوضع القانوني للشخص إذ يمكن للشخص دخول دولة أخرى بدون وجه حق (هجرة غير نظامية) أو أن يدخلها ومعه كافة الأوراق المطلوبة للدخول لتلك الدولة ويظل الشخص في كلتا الحالتين مهاجرا"[2].

ثانيا: "التعريف يشمل المهاجرين الذين انتقلوا بإرادتهم وكذلك الذين اضطروا تحت ظروف قاهرة ".

ثالثا: المسالة الثالثة المهمة في تعريف المهاجر ترتبط بأسباب الهجرة أيا كانت الأسباب الدافعة للهجرة فان الشخص القائم بهذا الفعل يعد في عداد المهاجرين بغض النظر عن الأسباب التي أدت إلى التنقل "[3] .

05- الهجرة غير الشرعية:

هي عملية انتقال الأفراد من دولة إلى أخرى بطريقة مخالفة للقوانين دون الحصول على التصاريح أو التأشيرات المطلوبة هروبا من الفقر والبطالة أو الحروب، بحثا عن حياة أفضل " تعد الهجرة غير الشرعية من أبرز القضايا التي احتلت مكانة مهمة على المستوى السياسي والاجتماعي، هذه المكانة بدأت تزداد منذ الربع الأخير من القرن العشرين، وقد تشكلت ظروف عدة ساعدت على تكوينها وهذه الظروف توزعت ما بين دول عالم الشمال التي عملت على استدعاء المهاجرين خلال مدة ما بعد الحرب العالمية الثانية وتكتسب الدراسة في موضوع (الهجرة غير الشرعية وانعكاساتها على النظم السياسية في أوروبا الغربية)، أهمية كبيرة في دول أوروبا الغربية كون هذه الدول تعد المقصد الرئيسي

1 أيمن زهري، مقدمة في دراسات الهجرة، مكتبة الأنجو المصرية، سنة 2023 ، ص 16.

2 المرجع نفسه، ص17 .

3 أيمن زهري، مقدمة في دراسات الهجرة، ص 17

لمعظم الباحثين عن الهجرة بسبب المستوى المتقدم الذي تتميز به لا سيما بعد أن بدأت هذه القضية ترتبط بجملة من المتغيرات التي كانت لها إشكاليات وانعكاسات على كافة المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأمنية "[1] .

إذ عرف "أسعد عبد الحسين خنجر" في كتابه الهجرة غير الشرعية على أنها " تتعدد تعريف الهجرة غير الشرعية ضمن هذا الإطار فهناك الهجرة غير القانونية، والهجرة السرية (clandestine Migration) إلا أن جميع التعريف تقع ضمن إطار واحد إلا وهو الهجرة غير الشرعية، ففي الوقت الذي تكون فيه الهجرة غير الشرعية هي مسألة مقبولة بالنسبة للدول الموفدة والوظيفة فان الهجرة غير الشرعية هي مسألة غير مقبولة، إذ تشكل إشكالات اجتماعية واقتصادية، وتثير انعكاسات مستقبلية جمة بالنسبة للدول المضيفة. ولم تكن الهجرة غير الشرعية بالظاهرة الجديدة إلا أنها ازدادت بشكل كبير خاصة بين جيل الشباب بالنسبة لدول عالم الجنوب، بوصفها دول مصدرة للهجرة نتيجة لفشل سياسات هذه الدول وتدهور الأوضاع الاقتصادية فيها هذا فضلا عن تدهور الأوضاع الأمنية، وقد شهدت السنوات الأخيرة اتساع الهجرة غير الشرعية لا سيما بين صفوف الشبان الغرب"[2]

يتمحور موضوع كتاب محمد غربي (الهجرة غير الشرعية في منطقة البحر الأبيض المتوسط المخاطر واستراتيجيات المواجهة)، حول ظاهرة الهجرة غير الشرعية إذ عرف الهجرة على أنها حركة انتقال فردي أو جماعي من موقع لآخر على مستويين داخلي وخارجي ويعني بها الانتقال إلى موطن أخر بتجاوز الحدود وهذا بالخضوع لقوانين دولية معروفة، أما إذ تم اختراق القانون فتصنف ضمن الهجرات غير الشرعية"[3]. وكذلك وضح لنا أن" لقد أصبحت الهجرة غير الشرعية موضوع اهتمام كبير للمجتمع الدولي باعتبارها من القضايا الشائكة سواء بالنسبة للدول التي تعتبر مصدرا للمهاجرين، أو الدول التي تعتبر محطة انتقالية، أول الدول المستقبلة لهؤلاء المهاجرين، ولعل منطقة البحر المتوسط منطقة نموذجية

1 أسعد عبد الحسين خنجر، الهجرة غير الشرعية وانعكاساتها على النظم السياسية في أوروبا، العربي للنشر والتوزيع، ص 7

2 المرجع نفسه، ص 25 /26

3 محمد غربي (تنسيق)، الهجرة غير الشرعية في منطقة البحر الأبيض المتوسط ، المخاطر واستراتيجيات المواجهة، دار الروافد الثقافية، الجزائر، ط1،سنة 2014 ، ص 478

لملاحظة هذه الظاهرة لذ تعد نقطة عبور من شمال إفريقيا ودول الساحل نحو أوروبا. ففي البلدان المغربية تعود جذور الهجرة إلى الحرب العالمية الأولى حيث أدى توافد المغاربة نحو أوروبا إلى إعادة تشغيل المصانع المشلولة وكذا الانضمام للجيش، وتطورت عبر فترات تاريخية لتتأزم الأوضاع بأوروبا اليوم وتشكل بذلك أزمة المهاجرين غير الشرعيين، إذ لا بد من مواجهتها والحد من هذا التدفق، وبالمقابل ستظل الهجرة غير الشرعية من البلدان الشرقية نحو أوروبا بسيطة مقارنة بنظيرتها المغربية على الرغم من وجود الدوافع نفسها"[1]

كما قدم لنا اسعد عبد الحسين خنجر أهم التعاريف عن الهجرة غير الشرعية ومكانتها إذ أن وضح لنا أيضا مفاهيم تتعلق بالمهاجر غير الشرعي"وتتخذ الهجرة غير الشرعية إشكالا وتعاريف متعددة، فالمهاجر(غير الشرعي) هو من دخل بطريقة غير شرعية إلى دولة ما أو أنه دخل بصورة شرعية إلى دولة ما، وانتهت تأشيرة الدخول (visa) مما ينقص بسببها وضعه القانوني في دولة العبور أوفي الدولة المستقبلة. كما أن المهاجر غير الشرعي هو كل شخص يدخل دولة ما بصورة غير شرعية، أما لعدم امتلاكه وثائق رسمية أو تكون بجوزته أوراق مزورة، أو أنه دخل بتصاريح مؤقتة ولكنهم تجاوزوا مدة تلك التصاريح مما ينتج عنه وضع غير قانوني وربما يكون عن طريق التسلل عبر الحدود برا وبحرا "[2].

06- موضوعات أدب الهجرة

تعد الهجرة وحياة التنقل أهم العناصر في تشكيل الشخصية العربية من القديم إلى اليوم" ولقد امتدت فكرة الهجرة والترحال في الأدب العربي منذ القدم حتى (أدب الرحلة) علامة مميزة للأدب العربي القديم منذ العصر الأموي، حيث كان ظهوره مرافقا للامتداد الفضاء الإمبراطوري الإسلامي، إنه السياق التاريخي نفسه الذي مكننا أن نقرأ فيها رحلات"ابن بطوطة" و"حسن الوزان" بالأدوات المعرفية المعاصرة"[3] لقد كانت الهجرة والرحلة علامة قوة وهيمنة في العصر الإسلامي

1 محمد غربي (تنسيق)، الهجرة غير الشرعية في منطقة البحر الأبيض المتوسط ، المخاطر واستراتيجيات المواجهة، دار الروافد الثقافية، الجزائر، ط1،سنة 2014 ، ص 478

2 المرجع نفسه.

3 إسماعيل مهانة، "الهجرة والمنفى و الأدب"،مجلة الثقافات،8 أكتوبر2015 .

الأول"فإنها أصبحت علامة ضعف وأزمة إنسانية وتاريخية في العصر الحديث، حيث صارت الهجرة قسرية وجماعية وهروبا من الحروب والاستعمار، لقد ظهر أدب المهجر بداية القرن العشرين نتيجة التهجير الجماعي الذي تعرضت له أقليات دينية وثقافية عربية حيث هاجر الكثير من الكتاب إلى روسيا والدول العربية ليخلدوا تجاربهم في المنفى داخل أدب عربي"[1].

إذن يعد ظهور أدب المهجر في بداية القرن العشرين، بعدما احتل المستعمر بقاع كثيرة من العالم النامي للتهجير القسري نتيجة للتمييز العرفي أو الديني.

تعتبر الهجرة والمنفى في العصر الحديث أنها ليست مجرد أحداث عارضة بل مصيرا تاريخيا للإنسان المعاصر" إن حياة الهجرة والمنفى والترحال ليست مجرد عارض تاريخي طارئ سببه الحروب ورأس المال المتنقل بلا حدود ولا حالات أزموية يمر بها عالمنا بل هي بالأحرى المصير التاريخي الأساسي الذي انتهى إليه الإنسان"[2].

لم تعد حياة الهجرة والترحال مجرد أحداث عابرة في التاريخ، بل هي قدر الإنسان في العصر الحديث، لقديم اقتلاعه من أرضنا الأصلية وأصبحنا بلا جذور في عالم يسوده التنقل المستمر، إن أدباء المهجر يعانون من الاقتلاع من الجذور يعيشون صراعا بين الحنين للماضي والتكيف مع الحاضر، فقد قارن الكثير من الكتاب بين أدب الرحلة وأدب المهجر " لقد ألف أدب المهجر في الأدب العربي المعاصر شيئا لم يوجد قط في أدب الرحلة، لقد كان أدباء الترحال متمسكا بجذورهم وقيمهم الأصلية ناظرين من خلالها لكل ما يمرون به من ثقافات وبلدان مختلفة،حيث كانت تلك القيم بمثابة منظورهم الأساسي في التفاعلات الثقافية بين البشر، إلا أن أدب المهجر أو أدب المنفى كان على النقيض بعض الشيء إذ اكتفى بعض الأدباء بالحنين لتلك الجذور، بل كانت سببا يؤرخهم في منامهم في تلك البلاد الغريبة، حيث كانت سمة أدب المنفى هي الاقتلاع والاقتلاع من أي أرض"[3].

---

https://thaqafat.com/2015/10/28451

1 المرجع نفسه

2 أدب الهجرة والمنفى، مجلة فكر الثقافية، الثلاثاء 25 فبراير 2025 م، شعبان 1446

3 أدب الهجرة والمنفى، مجلة فكر الثقافية، الثلاثاء 25 فبراير 2025 م، شعبان 1446

يتناول أدب الهجرة عادة التوترات الاجتماعية وعلاقات القوة الثقافية "فموضوع أدب الهجرة هو كالنص يصف قصة الهجرة يخلف توترا زمنيا ومكانيا بين هنا والآن في بلد الهجرة وهناك وما قبل في بلد المنشأ فالموضوعات هي التي تبنى مجال التوتر الثقافي"[1]. تتنوع الموضوعات التي يتناولها أدب الهجرة، ولكنها تشترك في تسليط الضوء على تجربة المهاجرين بكل ما فيها من تعقيدات فبعض هذه الموضوعات تشمل في:

الغربة والانتماء: "له أهمية كبيرة في أدب الهجرة، لأنه من ناحية ينظر إلى المهاجرين على أنهم أجانب، ومن ناحية أخرى يتعين عليهم الانتقال إلى المجتمع الجديد"[2].

كما نجد أيضا موضوع الأسرة:" باعتبارها أصغر وحدة اجتماعية ومكونة مركز في بناء الهوية، تشكل الأسرة دائما عنصرا مهما في أدبيات الهجرة"[3]. إضافة أيضا إلى عنصر كره الأجانب، في العديد من روايات أدب الهجرة يواجه أبطال الرواية مواقف معادية للأجانب، تكون إما واضحة أو ضمنية، فهم يعانون من التميز بسبب أصلهم، ولا يظهر النص فقط السياقات التي يمكن أن تحدث فيها مثل هذه المواقف ولكنه وهذه هي القيمة المضافة، لنصوص أدب الهجرة"[4].

تعتبر العلاقات الرومانسية للأطفال الذين نشأُ في بلدان المهجر من أبرز القضايا التي تشير الجدل بحيث تهتم مواضيع الهجرة في"التقاليد وعمليات التنشئة الاجتماعية تتم تناول الاختلاف الثقافية من خلال بواعث مثل الطعام والدين والتعامل مع الموت على وجه الخصوص، تلعب مسألة العلاقات للأطفال النامون من الجيل الثاني دورا إشكاليا " [5] يمكن أن التباين الثقافي يؤثر على العلاقات الأسرية ويؤدي إلى صراعات بين الأجيال فيسعى جاهدا إلى إيجاد حلول لهذه المشكلات الحوار والتفاهم بين الأجيال المختلفة.

1 رضوان ضاوي ،ما هو أدب الهجرة، صحيفة عربية مستقلة، 10 أكتوبر 2022

2 المرجع نفسه

3 المرجع نفسه.

4 المرجع نفسه

5 رضوان ضاوي ،ما هو أدب الهجرة، صحيفة عربية مستقلة، 10 أكتوبر 2022

المبحث الثـاني: أدب المنفى مفاهيمه وموضوعاته:

يمثل أدب المنفى ظاهرة أدبية بارزة " راح يتنامى حضور ما في آداب الأمم التي خضعت للتجربة الاستعمارية، أو مرت بظروف الاستبداد السياسي أو الديني وتشكل الكتابة السردية لبها الجوهري ويطفح أدب المنفى برغبات الاشتياق والحنين والقلق، وهو مسكون بفكرة إعادة كشف موقع الفرد في وطنه، وفي منفاه، على جد سواء، لأن المنفى يكرس عجزا عن الانتماء إلى أي من العالمين المذكورين، وتعذر الانتماء يقود إلى نوع من التوقع الفكري، والرهبنة الروحية والعقلية وذلك قد يفضي إلى العدمية أحيانا، حيث تتلاشى أهمية الأشياء، فتنهار صورة العالم في أعماق المنفي "[1]. يتميز أدب المنفى على أنه أدب يدور بين التفاؤل والتشاؤم واليأس والأمل انه صراع بين الأمل والقاعدة، يعد أدب المنفى أدب إنساني يعكس تجربة مؤثرة ويساهم في فهم أعمق لقضايا الهوية والانتماء والحرية فنجد عبد الله إبراهيم يصفه بأنه مزيج من الاغتراب والنفور المركب، كونه نتاجا لوهم الانتماء المزدوج إلى هويتين أو أكثر ثم في الوقت نفسه عدم الانتماء لأي ذلك فهو يستند في رؤيته الكلية إلى فكرة تخريب الهوية الواحدة والمطلقة .

فهو أدب عابر للحدود الثقافية والجغرافية والتاريخية، ويخفى في طياته إشكالية خلافية لأنه يتشكل عبر رؤيته نافذة ومنظور حاد يتعالى على التشريح المباشر لأوضاع المنفى"[2] قد تجد أدب المنفى يعكس قوة الروح الإنسانية وقدرتها على التكيف والتأقلم ولكنه في يعكس قوة الروح الإنسانية وقدرتها على التكيف والتأقلم ولكنه في الوقت نفسه يكشف عن الجروح العميقة التي تتركها تجربة المنفى في النفس.

1 عبد الله ابراهيم، الرواية العراقية الجديدة، المنفى، الهوية، اليوتوبيا، عدد 33، المغرب، ط 1، يناير 2010، ص 59 .
2 المرجع نفسه، ص59 .

لقد تناول إدوارد سعيد في كتابه تأملات المنفى جوانب متعددة لفهم المنفى "المنفى عند سعيد يمكن أن يكون إستعاريا وليس فعليا وحسب وطوعيا وليس إجباريا فقط وداخليا شأنه خارجيا، بما يعني أن مدى الابتعاد عن الوطن ليس المعيار الأساسي للمنفى، فإن الاعتقال أو التهديد به لأسباب غير قضائية، هو أيضا حالة من النفي "[1] يرى إدوارد سعيد أن المنفي لا يقتصر في البعد الجغرافي، بل يتجاوز إلى كونه حالته إنسانية عميقة تتضمن الاغتراب والانفصال عن الجذور وفقدان الهوية .

يصف إدوارد سعيد المنفي بأنه الشرخ المفروض الذي لا التئام له بين كائن بشري ومكانه الأصلي مما يبرز الألم العميق الذي يعانيه المنفي "يجبر المنفي المرء على التفكير فيه ويا لها من تجربة فظيعة، إنه الشرح المفروض الذي لا التئام له بين كائن بشري ومكانه الأصلي بين الذات وطنها الحقيقي "[2].

يقارن إدوارد سعيد بين المنفيين في العصور السابقة ومنفي العصر الحديث يشير إلى أن الفرق هو فارق في المقياس، حيث أن العصر الحديث يتميز بحروبه الحديثة وإمبريالية وأنظمة حكمة الشمولية، وهذا ما أدى إلى زيادة كبيرة في عدد المنفيين ."إذا ما كان المنفي الحقيقي حالة فقدان مبرم، فكيف أمكن له أن يتحول بتلك السهولة إلى حافر قوي، بل مخصب، من حوافز الثقافة الحديثة؟، لقد اعتدنا النظر إلى الحقبة الحديثة على أنها حقبة يتيمة مغتربة روحيا، عصر القلق والغربة .ولقد كان للمنفيين في عصور أخرى ذات الرؤى العابر للثقافات والقوميات وعانوا من ذات ضروب الإحباط والبؤس، وقاموا بذات المهام النقدية المستنبرة" [3].

1 إدوارد سعيد، تأملات حول المنفى، ترجمة تائر ديب، دار الأدب، بيروت/ لبنان، ط1، سنة 2007، ص 14 .

2 المرجع نفسه، ص 117 .

3 المرجع نفسه، ص177 .

هناك فرق كبيرا بين المنفيين في الماضي والمنفيين في عصرنا الحالي، حيث أن عصرنا يتميز بالحروب الحديثة والإمبريالية، مما يجعل عصرنا حقا عصر اللاجئين والمطرودين.

01- النفي وأثاره

طرق إدوارد سعيد إلى بواعث النفي وأثاره حيث يقول " النفي لا يقتصر معناه على قضاء سنوات يضرب فيها المرء في الشعاب هائما على وجهه، بعيدا عن أسرته وعن الديار التي ألفها بل يعني إلى حد ما أن يصبح منبوذا إلى الأبد محروما على الدوام من الإحساس بأنه في وطنه، فهو يعيش في بيئة غريبة، لا يعز به شيء عن فقدان الماضي، ولا يقل ما يشعر به من مرارة إزاء الحاضر والمستقبل، ثم يوضح بشيع افتراض غريب وعارض للصحة تماما، بأنه المنفي قد انقطعت صلته كلية بموطنه الأصلي، فهو معزول عنه، منفصل منبث الروابط إلى الأبد به، ألا ليت أن هذا الانفصال كان صحيحا، إذن لا استطعت عندها على الأقل أن نجد السلوى في التيقن من أن ما خلفته وراء ظهرك لم يعد يشغل بالك وأنه من المحال عليك أن تستعيده، إذ لا يقتصر الصعوبة التي يواجهها المنفي على كونه قد أرغم على العيش خارج وطنه."[1]

يقول إدوارد سعيد في معرض حديثه عن بواعث النفي وأثاره على من يخوض تجربته أن "المنفي يعيش حالة وسطية لا ينسجم تماما مع المحيط الجديد ولا يتخلص كليا من عبء البيئة الماضية، تضايفية أنصاف التدخلات وأنصاف الانفصالات، وهو عاطفي من الناحية ومقلد حاذق أو منبوذ لا يعلم به أحد من ناحية أخرى."[2]

02- تجربة النفي وتأثيراتها على الإنسان:

1 إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، ترجمة محمد عناني، القاهرة، دار للنشر والتوزيع، سنة 2006، ص 92 .

2 محمد الشحات، سرديات المنفى، الرواية العربية بعد عام1967، دار أزمنة للنشر والتوزيع، عمان/ الأردن، ط 1، سنة 2006، ص9 .

تلقي تجربة النفي بضلالها الثقيلة على الإنسان أينما وجد سواء كان ذلك باختصار أو قسرا، فجوهر المنفي يكمن في ارتباطه بأصله وهويته الأولى، وحبه لوطنه وتلك الروابط العميقة التي تشده إلى مكانه الأصلي بالقمع والتشريد وخنق الحريات إذ يوضح ذلك محمد شحات في كتابه سرديات المنفي "تلقي تجربة النفي بظلالها على الإنسان، أينما حل وأرتحل، فالمنفي يستند إلى وجود المرء الأصلي وحبة له، ووجود وشائج حقيقية تربطها والأوضاع التاريخية الحديثة الناجمة عن سياسات القمع والتهجير، والضغوط السياسية ووأد الحريات وكلها ظروف دفعت الكثير من المبدعين والفنانين إلى الارتحال أو الابتعاد والإقصاء عن الأوطان والبحث عن أمكنة آخرة ومجتمعات أخرى يصوغون فيها رؤاهم ."[1]

03- أنواع النفي

هناك عدة أنواع للنفي "فنجد حليم بركات يميز بين" **النفي القسري**" و"**النفي الطوعي** "ففي الحالة الأول يطرد المنفي من بلده بقرار سياسي من قبل السلطة، أما في الحالة" النفي الطوعي "بما يرافقه من إحساس عميق بالغربة،ينعزل الكاتب داخل بلده نفي داخلي أو قد يهاجر هربا من الاضطهاد إلى بلد أخر يؤمن له الحرية والعمل والظروف التي يفتقدها في بلاده وتمثل رواية نجيب محفوظ " ثرثرة فوق النيل"حالة النفي الطوعي الداخلي دون الهجرة، أو هي هجرة تحول الداخل، أما رواية جبرإبراهيم جبر" السفينة " فتمثل نفيا طوعيا خارج البلد، بعيدا عن الضغوط اليومية."[2]

مِن هنا نصل إلى الفرق الجوهري الموجود بين هذين النوعين ففي النفي القيسري نجد السلطة هي التي تبعد الشخص أما في النفي الطوعي فهو الشخص نفسه الذي يختار العزلة سواء داخل وطنه أو بالهجرة بسبب ظروف قاسية أو بحثا عن حرية أفضل .

مهما بلغت نجاحات المنفيين، يبقون دائما أولئك الغرباء الذين يحملون شعورا عميقا بالاختلاف، حتى عندما يجولون هذا الاختلاف إلى مصدر قوة ويؤكد هذا إدوارد سعيد في كتابه "مهما حقق

1 محمد الشحات، سرديات المنفى،ص 21 .

2 المرجع نفسه ص 22 .

المنفيون من نجاحات، فإنهم يظلون على الدوام أولئك الشذاذ الذين يشعرون باختلافهم حتى وهم يستثمرونه في الكثير من الأحيان على انه نوع من اليتيم وكل من هو شريد حقا إنّما يعتبر تلك العادة المتمثلة برؤية الغرابة والجفوة في كل ما هو حديث نوعا من التصنع ،والتظاهر بالسير على الزي الدارج، والمنفي إذ يتشبث باختلافه مثل سلاح سيستخدم بعزيمة لا تلين، إنما يلح بغيره على حقه أو حقها في رفض الانتماء" [1]

تعد تيمة المنفى في الرواية العربية محركا أساسيا ، يشكل الوعي الجمالي الأحداث التي يعكسها الكاتب فكتابة المنفى لا تقوم إلا على ذاكرة الراوي الذي يعيش بعيدا عن وطنه "وكتابة المنفى تنهض بالأساس على ذاكرة الراوي المنفى الذي يرى العالم من منظوره وندرك تفصيلات هذا العالم بشخوصه وفضاءاته عبر حواسه الخاصة "[2] فالراوي المنفي هو المتحكم في تقديم القصة حسب، فالراوي الذي عاش تجربة المنفى يلعب دورا محوريا في تشكيل القصة، حيث يقدمها من خلال منظوره الخاص من وصف الأماكن والسرد الأحداث، فهذه التجربة الروائية، تجربة النفي ليست مجرد حدث عابر بل هي رحلة قاسية مليئة بالألم والحنين، يتم التعبير عنها بلغة أدبية راضية تحمل في طياتها إبداعا فنيا عميقا .

فهناك العديد من" الكتاب خبروا تجربة المنفى، أو تم إقصاؤهم عن أماكنهم أو تركوا أوطانهم وديارهم لسبب أو لأخر، لكن كتاباتهم تعالج هذه التجربة بطرق فنية تتفرق ما بين طرح المنفي بطرق مباشرة، أو الاكتفاء بمحض إشارات ضمنية إلى تجربة المنفي أو النفي في رواياتهم ".[3]

من بين هؤلاء الكتاب الذين عاشوا تجربة المنفى بكل مرارتها نجد عبد الرحمن منيف، الذي أبعد وطنه وأكمل حياته في المنفى، لم تكن تجربة المنفى مجرد محطة عابرة في حياته بل انعكست على

1 محمد الشحات، سرديات المنفى، ص127 .

2 المرجع نفسه، ص 26

3المرجع نفسه، ص 11 .

أعماله الروائية وتركت أثرا واضحا فيها،حيث نجده يعكس معاناة الاغتراب والبحث عن الهوية في كتاباته. ومن أبرز أعماله التي تجسد تجربة المنفى هي روايته "شرق المتوسط "التي صدرت عام 1975

في هذه الرواية يتناول منيف قضية المعارض السياسي المثقف في دول الشرق الأوسط، دون أن يحدد بلدا معينا، يستكشف منيف معانات المثقفين الذين يعيشون في صراع دائم بين قيمهم الفكرية والواقع السياسي القاسي الذي يحيط بهم ."وفيه تعاني الذات الروائية الراوي أو الشخصية ضغوط سياسي تدفعها دفعا إلى مغادرة الوطن والتيه في غيابات المنافي المختلفة أو اللجوء إلى إحدى الدول التي لا ترد اللاجئين إليها " لهذا السبب لم يجد الراوي رجب إسماعيل سوى اللجوء إلى إحدى البلدان الأوربية بعد أن ذاق ألوان التعذيب، دخل سجون بلده منفاه التي تقع على الشرقية للمتوسط "[1].

تدور أحداث رواية "شرق المتوسط "لعبد الرحمن منيف حول الشاب" رجب إسماعيل" وهو معتقل سياسي في سجن غير مسمى في إحدى دول الشرق الأوسط، كان رجب يعيش حياته مثل باقي المواطنين في بلده، لكن بما أنه مواطن إلا أن رجب، بفضل ثقافته الواسعة و اهتمامه بالقراءة، بدأ يغوص في عالم الأفكار والكتب التي تعذب وعيه السياسي وتدفعه نحو النضال من أجل الحرية والعدالة .

كان رجب يشارك أخته أنيسة الكتب التي يقرأها، لكن مع مرور الوقت بدأ يخفي عنها بعض العناوين، خاصة تلك التي تحمل أفكار سياسية معارضة للنظام، وقد لا حظت أخته هذا التغير، حيث قالت "ظللت أتابع قراءاته دون أن أشارك فيها، حتى جاء ذلك اليوم الذي بدأ يغلق الكتب أثناء قراءتها لكي لا أرى عناونها "[2].

مع تطور وعيه السياسي أصبحت حياة رجب مليئة بالخطر وانخرط في النظال السلمي ضد النظام الاستبدادي، رغم أنه لم يحمل السلاح أو يقتل أحدا إلا أنه، وقع ضحية للقمع السياسي، حيث حكم عليه بالسجن لمدة إحدى عشر سنة بسبب أفكاره ومعارضته للنظام.

1 محمد الشحات، سرديات المنفى ، ص 125

2 المرجع نفسه، ص 36.

عانى رجب أنواع مختلفة من التعذيب الجسدي والنفسي على يد السجانين الذين حاولوا كسر إرادته وإسكات صوته رغم ذلك لكنه ظل متمسكا بأفكاره، مؤمنًا بأنه نضاله من أجل الحرية و العدالة سيجعل حياة الناس أفضل ،وقد قال "إني لم أحمل بندقية ولم أقتل أحدا "[1] وقع رجب تحت وطأة السلطة السياسية، حكمت عليه بإحدى عشر سنة سجنا، قضي منها خمس سنوات، لا سبب سوى أنه أرادة أن يجعل حياة الناس أكثر سعادة تدهورت صحة رجب بشكل كبير، ومما اضطره إلى الموافقة على توقيع الأوراق التي عرضت عليه كشرط للإفراج عنه، خرج من السجن لكنه بدا غريبا عن وطنه وحيدا بعد وفاة والدته .

كانت أخته أثناء سجنه تتخيل أن حياتهم ستبدأ من جديد "بمجرد خروجه من السجن، ستبدأ حياتنا التي لطالما انتظرناها لكي يلوح لي الآن أنه لا حق لنا في أن نأمل "[2].

من هنا قرر رجب بعد خروجه من السجن السفر إلى فرنسا، ليبدأ العلاج وهناك في فرنسا لاحظ الفرق الكبير بين المجتمع العربي المظلم الذي يقمع الحريات والمجتمع الأوربي المتنور الذي يكرسها أمضى أيامه منشغلا بهذه المقارنة القاسية، حتى وفته بعيدا عن وطنه تتجسد في هذه الرواية "شرق المتوسط " تجربة المنفى بوصفها سجن مفتوح، والسجن بوصفه منفى قسريا، فالبطل هنا عانى ويلات القمع في السجن وهذا لا يفرق بين القضبان والأسوار العالية أو المنافي البعيدة .

تتضح هذه الرواية التناقض الجوهري بين السجان تقابله السجين والتباين بين الشرق والغرب فهذه الرواية جسدت ظلم السلطة في شرق المتوسط فنجد رجب يقول في بداية الرواية " ياليته ميناء اللاعودة أخر قطعة من الوطن "[3] في هذا القول يريد أن يقول أن من طالب بالحقوق وبكرامة المواطنين يدفع ثمن ذلك.

04- مفهوم رواية المنفى

1 عبد الرحمن منيف، شرق المتوسط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت / لبنان، ط 1، سنة 1975، ص 152

2 محمد الشحات، سرديات المنفى، ص 129

3 المرجع نفسه، ص 7

تعرف رواية المنفى بأنها عمل أدبي يتناول موضوع النفي فنجد محمد شحات يعرفها في كتابه أنها رواية" تعالج موضوع المنفى من حيث هو اغتراب مكاني عن الوطن بشكل رئيسي أو هي رواية تتخذ من تيمة النفي أو الاستبعاد، أو الابتعاد عن الوطن أو النبذ أو الطرد قهرا أو قسرا و بطريقة مباشرة نتيجة عوامل سياسية أو اجتماعية "[1].تتخذ روايات المنفى محورا أساسيا، حيث تصبح هذه التجربة من القضية الرئيسية التي تشغل الكاتب .

05- الروايات التي تتحدث عن المنفى

تعددت الروايات التي تتناول موضوع المنفى منها: رواية أحاسيس في المنفى "لأسمى الزهاد".

إذ تعتبر رواية أحاسيس في المنفى للكاتبة أسمى الزهاد عمل أدبي يعبر عن تجارب إنسانية عميقة تتناول قضايا الإغراب والوحدة والبحث عن الذات، كما تعبر عن مشاعر الشخصيات التي تعيش في المنفى سواء كان منفي جغرافي أو نفسيا وتستكشف تأثيرات هذا المنفى على هوياتهم وعلاقتهم الشخصيات التي تتشابك مصائرها وتتصارع فيها الأحاسيس والصالح

"كفاك تدخلا بأمور لا تفهمينها يا أمي ...أنا المديره العامة لشركات أبي وأفهم عملي جيدا أقفلت دلال الهاتف وبداخلها شيء ما ...شعور ما يجول متمردًا على تمردها يقول لها أنت لست إنسانا ...أنت مجرد عروسة الماريونات التي أدخلها ولدها كليه الاقتصاد لإرضاء طموحه على حساب سعادتك وأمالك الشخصية "[2]

يبين لنا هذا المقطع أن دار حوار بين دلال وولدتها ،دلال على وشك السفر و قد بين رد دلال على والدتها انه يعكس تمردا وشعورًا بالاستقلالية حيث تشعر بأنها قادرة على إدارة أمورها بنفسها دون تدخل ،لأنها تشعر بأنها مجرد دمية تحقق أحلام والدها على حساب سعادتها الشخصية.

1 محمد الشحات، سرديات المنفى، ص 10 .

2 المرجع نفسه، ص 11

نجد في هذه الرواية "أحاسيس في المنفى" للكاتبة أسمى الزهاد مجموعة من القضايا الاجتماعية والإنسان والنفسية

06- قضايا المنفى في الرواية

نجد فيها قضية المنفى والاغتراب المحور الأساسي في هذه الرواية حيث تجسد معاناة الشخصية التي تعيش بعيدا عن وطنها ،وتواجه صعوبات التكيف مع بيئة جديدة وثقافة مختلفة "أقصد أولئك الذين نسمع عنهم كل يوم ونشاهدهم في التلفاز ...يقطعون البحار والمحيطات بزورق صغير للموت رغبة في الحياة ...في الماديات في الرفاهية العمياء، مخلفين وراءهم أكباد أمهاتهم تحترق خوفا عليهم .... وشوقًا إليهم"[1].

"كانت تعلم أنا الطائرة مركبة محجوزة للموت لكنها قررت أن تسافر وتحجز لها مقعدا ولو ساعات وسنوات "[2] رغم أن الأشخاص يعلمون أن الطائرة قد تتحطم لكنه يختار السفر على أي حال، وكأنه يحجز مقعدًا للموت كما حجز مقعد للحياة .

أ. ظاهرة الفقر والقهر

يعترف العم دلال بأن الفقر والقهر قد يدفعان البعض إلى اتخاذ قرارات بائسة " لكن الفقر يعمي الأبصار يا دلال والقهر يفقأ العيون ... الفقر الحقيقي هو من يبيع أمه وأقاربه وأصدقاءه ووطنه كي يعيش وسط الغرباء... أتعلم كم شخصا متت والدته أو والده وهو بعيد في الغربة وكم شخصا هناك يعيش حالة فقر "[3] يؤكد في قوله هذا بأن الفقر الحقيقي هو فقر القيم والأخلاق وليس الفقر المادي .

1 أسمى الزهاد، أحاسيس في المنفى، ص 40

2 المرجع نفسه، ص 9

3 المرجع نفسه، ص 41

ب.قضية حب الوطن والأم:

تستشهد دلال في هذه القضية بشعر محمود درويش تقول:

"أحن إلى خبز أمي

وقهوة أمي

يالهم من نساء ...

أغبياء لا يعرفون أن أجدادهم ماتوا من أجل يعيشوا هو حاربوا كي يضفروا لهم بالحرية والانتصار "[1]

تؤكد دلال في هذا على أهمية الارتباط العاطفي بالوطن الأم وترى أيضا "أن من لا يحب أمه لا يمكن أن يحب وطنه "[2].

ج. قضية المرأة والمجتمع

تحدثت دلال عن المرأة ودورها في المجتمع العربي والتحديات التي تواجهها التقليل من شأن المرأة "ينظرون إلى الأنثى بأنها أدنى مرتبة من الرجل وأقل قيمة وشأنا ويستصغرونها حتى ولو كانت تحتل مكانا مرموقا وعاليا لا لأنها ضعيفة ولكن لأن قوتها تؤذيهم، يريدون منها أن تكون ربة منزل جديدة دورها طباخة ماهرة وسيدة مجتمع أنيقة شرط أن لا تتطاول على أرائهم وأفعالهم كي لا تخدش كبريائهم بمبدأ الدفاع عن الرجولة"[3]

د. القيم الدينية والأخلاقية

تؤكد دلال على ضرورة التمسك بالدين الإسلامي الذي يعامل المرأة كجوهر نادر، ويدعوا إلى حسن معاملتها "المرأة التي تحولت من إنسان خلقه الله وأكرمه إلى قضية شائكة أختلقها الإنسان

1 أسمى الزهاد، أحاسيس في المنفى، ص 11.

2 المرجع نفسه، ص 40.

3 المرجع نفسه، ص 49 .

وجعلها حدثا اجتماعيا يصعب فهمه مع أنه كان سيكون سهلا لو تمسكنا بديننا ... بإسلامنا ويجب عليها وحسن معاملته إليها"[1] ، تدعوا دلال إلى التمسك بالقيم الأخلاقية و نبذ الكبرياء الذكوري الذي يعيق تقديم المجتمع العربي.

1 المرجع نفسه، ص 49.

ه. قضية الهوية والانتماء:

تبحث الرواية في قضية الهوية والانتماء خاصة في ظروف المنفى، حيث تساؤل الشخصيات عن هويتها كيفية الحفاظ عليها بيئة غريبة "متى سيعرفون أن أعظم درس في الإسلام هو الأخلاق ويتبعون منهج عبد الحميد بن باديس في تحدياته ضد الجهل والأمية وطمس الشخصية الجزائرية، هل كان لهم أن يحبوا الجزائر كما نحبها ... يا لهوياتنا كم هي واسعة ...فبرغم من تمردها وغطرستها إلا أنها كانت تعشق الجزائر وتحفظ الأغاني الوطنية عن ظهر قلب وتكتب قصائد عن الوطن كلها تشفي غليلها من أعدائه "[1].

و. الحنين إلى الوطن

تعكس الرواية كيف أن الذكريات والأماكن والأشخاص في الوطن تظل حية في قلوب المغتربين نجد دلال تقول "غادرت المطار تاركة سحابة الحزن تمطر خلفها لتفوح من رائحة التراب ممزوجة بقطرات العذاب ...هاته الفتاة التي عاشت حياتها بين عواطف المنكسرة ... كأي امرأة تخلت ثوابها الأسود لترتدي سعادتها التي تتلاءم وبر حول ودة السنين بقدر ما تعرف بقلب ينبض بالحنين مرت أيام على فراقه ونسيانه"[2].

07- الأبعاد الثقافية التي تعكس تجربة المنفى في الرواية :

أ. الصراع الثقافي والهوية

عكست الشخصيات في هذه الرواية صراع حول ثقافتها الأصلية وثقافة المنفى، مما يثير أسئلة حول الانتماء والهوية وكيفية الحفاظ على التراث واللغة في بيئة غريبة "الموت يدهمنا في ساعات متأخرة من ليل الحياة ويرصد لنا بمنظاره أشخاص نحبهم لا يفقهون شيئا عن الإحساس ...تساورهم

1 أسمى الزهاد، أحاسيس في المنفي، ص 40 41.

2 المرجع نفسه، ص 73

شكوك حول الجنسية ...الهوية مصداقية ...لكنها كائن غريب يحط الترحال بأنفسنا دون سابق إنذار ... كأنه عاصفة "[1].

ب.الذاكرة والتراب

تستحضر دلال الذكريات الوطن الأم من خلال العادات والتقاليد والروائح والأصوات، مما يعكس أهمية التراث في تشكيل الهوية " يا لهم من تعساء... أغبياء لا يعرفون أن أجدادهم ماتوا من أجل يعيشوا هم ... وحاربوا كي يضفروا لهم بالحرية والانتصار فبرغم تمردها " [2] وغطرستها إلا أنها كانت تعشق الجزائر، تقول دلال في هذا الصدد "أحمل القلم وأكتب بين طيات دفاتري الحياة بكل ألوانها و أشكالها وعندما أرغب في نسيان شيء ...أمحوه بمحاة الذاكرة حتى كبرت و درست "[3].

ج. اللغة والتعبير

واجهت الشخصيات في هذه الرواية صراع لغوي بين اللغة الأم ولغة البلد الضيف "مع أنها تحب اللغة الفرنسية إلا أنها تعشق اللغة العربية وتؤمن كل الإيمان أن شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب "[4].

مشاعر الشخصيات في مواجهة الغربة والوحدة والبحث عن الذات: لقد تنوعت المشاعر والأحاسيس بين الشخصيات

الشعور بالغربة والوحدة: تعيش الشخصية الرئيسية "دلال" حالة من الانفصال عن الوطن وهذا ما يولد لديها إحساسا عميقا بالاغتراب فهم يعانون من إحساسا عميقا بالاغتراب والوحدة " هل قال لك أنه يشعر في وطنه ...وأن الجزائر لا تزال في قلبه وهل كذب عليك كما كذب على نفسه؟ "[5].

1 أسمى الزهاد، أحاسيس في المنفي، ص 38 / 39
2 المرجع نفسه ، ص 40 .
3 المرجع نفسه، ص 43
4 المرجع نفسه، ص 60
5 أسمى الزهاد، أحاسيس في المنفي ، ص 63

الحنين والألم: هناك حنين مأساوي للماضي أو الوطن المفقود مصحوبا بألم بسبب الاستحالة العودة إلى ما فات **فنجد** دلال شخصية هذه الرواية تعاني من هذا الشعور وهي تسترجع كل الصور من ألبوم ذكرياتها " تسترجع أيامها بتفاصيلها الحلوة والمرة وهي تذرف من أجل دموعًا كان من الأجدر لو احتفظنا بها للحظات في المستقبل لربما كانت ستكون أكثر ألما و بؤسًا " [1]. تحن إلى الماضي وترى أن ليس كل الذكريات، مؤلمة لكن حتى الحلو منها قد يثير الحنين والأسى .

القلق الوجودي والصراع الداخلي: فقد نجد دلال في هذا تتساءل عن معنى الحياة في ظل المعانات والقلق مما يخلق لها صراعا داخليا بين اليأس والأمل والإيمان بمستقبل أفضل " نعم ... إنها الحياة بتعقيداتها تفرض عليها أحيانا إرضاء أحاسيس ومحاربة أخرى...إقالة مشاعر وتعيين أخرى ...وهل يمكن أن يتعلم من خوفه ألا يخاف؟ .. ومن حزنه ألا يحزن؟ "[2]. في هذا تبين كيفية على الإنسان أن يحول مخاوفه إلى قوة، أو كيف أنّ الحياة تجبر على مواجهة المشاعر لا الهروب منها .

الشعور بالغربة والوحدة: يعانون من إحساسا عميقا بالاغتراب والوحدة " هل قال لك أنه يشعر في وطنه ...وأن الجزائر لا تزال في قلبه وهل كذب عليك كما كذب على نفسه؟"[3]

العاطفة الجياشة: قد نجد الشخصيات تظهر مشاعر الحب والكراهية والغضب والتسامح فيما بينها.

الأبعاد الواقعية : ركزت الرواية في هذا الجانب على التجربة الأنثوية في المنفى

الواقعية الاجتماعية والنفسية :تصور هذه الرواية معانات المغتربين العرب، وخاصة النساء في مواجهة التحديات الاندماج في مجتمعات جديدة مع الحفاظ على الهوية الثقافية

1 المرجع نفسه ، ص 58

2 المرجع نفسه ، ص59

3 المرجع نفسه، ص 63

الواقعية الأنثوية تجربة المرأة في المنفى "فتاة ككل امرأة جزائرية تعلمت أشياء خاطئة عن الطاعة ... وعن الحب وعن الكره عن سجينة زينوا لها سجنها بالورد وأقنعوها أن تعيش سعيدة في كنف السجان ، وأورثوها مفاهيم الشعبية البعيدة كل البعد عن الأحاديث النبوية"[1].

تبرز الرواية معاناة المرأة المغتربة إذ عليها تحملها مسؤولية الأسرة ومواجهتها لضغوط التقاليد مقابل حرية المجتمع الغربي.

واقعية الحدث في هذه الرواية " أحاسيس في المنفى" لأسمى الزهاد الواقعية السردية والأسلوبية : نجد شخصيات هذه الرواية حقيقية أحداثها واقعية قد نجد الكاتبة تستخدم لغة شعرية أحيانا، لكن رغم ذلك تظل قريبة من الواقع، ومع وصف الدقيق للمشاعر والأماكن، نجد استخدموا الخيال في بعض الأحيان ولكن الغالب هو الطابع الواقعي والحقيقي.

08- نماذج روائية عن موضوع المنفى:

أ. رواية " في المنفى " لجورج سالم.

إنّ رواية في المنفى لجورج سالم رواية فلسفية ورمزية تعكس مأساة الإنساني في مواجهة القمع والعزلة والغربة بأسلوب كئيب وغامض، وكذلك عدم تحقيق العدالة مما جعلها واحدة من أهم الروايات العربية التي ناقشت الاغتراب الداخلي والخارجي .

حين عبّر جورج سالم في رواية عن ذلك أن معلم مدرسة سافر إلى بلدة غريبة وعجيبة وحين وصولها إليها واجه صعوبات كثيرة في نظامها الاجتماعي وقوانينها ومميزاتها، وشعوره بالوحدة وسط سكانها نظرا لأجوائها الكئيبة وغموض أهلها وعدم ترحيبهم له، و كذلك خوضه من معاشرة سكان هذه البلدة، فهم يخشون السلطة ويتجنبون الحديث بحرية .وكل هذا يعكس الصعوبات والآلام التي يواجهها الإنسان المغترب والمنفي.

ب.فتناولت هذه الرواية عدة جوانب اجتماعية أبرزها :

1 أسمى الزهاد، أحاسيس في المنفي ، ص 140

الجانب الاجتماعي: تعكس الرواية تأثير المجتمع في تشكيل الاغتراب والعزلة حيث يعامل المعلم كغريب وشعوره بالغربة والشكوك من قبل سكان البلدة لغموض أهلها وعدم قبوله بينهم وكأنهم يراقبونه بحذر فأصبحت هذه البلدة بالنسبة له كالسجين والظلام، فوجد نفسه منعزلا عن سكان مجتمع تلك البلدة الغريبة الكئيبة."وجوه جامدة تبرز أمامي كل يوم في المدرسة الصغيرة من ذات الصفوف الخمسة "[1]. فأصبح المعلم منعزلا وحائرًا ومستغربا من حال سكان مجتمع هذه البلدة الصغيرة الغريبة وشعوره بعدم الانتماء إليهم وعدم ترحيبهم له ورغبتهم في الحديث معه والتعرف عليه. وكذلك خوفه من معاشرة سكان البلدة وإحساسه لعدم قبوله ورفضه بينهم، حيث يعامله الجميع بارتياب وتحفظ وكأنه غير مرحب به نهائيا .

وعلى الرغم من رغبته ومحاولاته للاندماج والتعرف عليهم إلا أنّ فكرة رفضهم له، ومعاملتهم له كغريب سلطت عليهم، ويشككون فيه ويجتنبوه إذ يزداد شعور بالوحدة والاغتراب وفقدانه لوطنه فيكشف أن الناس يخشون السلطة يتجنبون الحديث بحرية ." لم أر أحدًا يبتسم لي حتى اليوم، وإذا صادف أن ابتسم إنسان فإنما يبتسم لذاته وفي أعماقه"[2]. "ومع أنّ رغبتي في التعرف إلى الناس ومحادثتهم شديدة، إلا أن خوفي منهم أشد وأقسى"[3].

تستعرض الرّواية معاناة الشخصيات المغتربة مع مواجهة الصعوبات في التأقلم مع سكان المجتمع الجديد، إذ تعكس الرواية كيف يعاني المنفيون من الشعور بالوحدة والغربة في بيئتهم الجديدة مما يؤثر على حياتهم الاجتماعية والعاطفية، وكذلك تصوير القهر والظلم الذي يعانيه الأفراد في مواجهة أنظمة قمعية، ومعالجة فكرة الغربة الروحية، حيث يجد الإنسان نفسه وحيدًا في مجتمع لا يفهمه .فالرواية لا تصور السلطة فقط كقوة قمعية، بل تظهر كيف يصبح المجتمع شريكا في القهر من خلال الشّك والعزلة ورفض الأخر، وعدم إيجاد اللطف والدعم من قبل الآخرين، بل يواجه الإنسان المغترب عداء كبير مبنيا على الخوف والجهل .

1 جورج سالم، في المنفى، منشورات عويدات، لبنان/بيروت، الطبعة الأولى ،سنة 1962، ص 24.

2 2 المرجع نفسه، ص 25.

3 المرجع نفسه.

الجانب الثقافي : تعكس الرواية كيف يمكن أن يحدث تفاعل بين الثقافات المختلفة مما يؤدي إلى اختلاف وتناقض بين مختلف الأشخاص في أفكارهم وثقافاتهم، فيشير إلى توترات وصراعات ثقافية "لا غرباء هنا، فلا فنادق هنا "[1]، مما تدل هذه العبارة على عدم ترحيبهم للغرباء وعدم التواصل معهم ومع ثقافاتهم المختلفة في عالم معاصر ومتنوع، إذ تلعب التجارب المشتركة دورا مهما في تشكيل الهويات الفردية والجماعية وكذلك الاستفادة من التاريخ الثقافي .

وتعكس الرواية كيف كذلك الواقع الثقافي للأفراد الذين يعيشون في ظروف صعبة مما يعكس تعقيدات التهجير وتأثيراته على الهوية الثقافية والعلاقات الإنسانية ."كم أتمنى أن أرى من يراجعني أو يستفسر عن أمر من أهل التلاميذ وذويهم، إن محادثتهم والاستماع إليهم قد تنشى فيما بيني وبينهم من العلاقة، ولكني إلى الآن لم أرى واحد منهم يغد إلى المدرسة ومن يدري "[2].

إذ تستكشف الرواية مفهوم الهوية الثقافية وكيف يمكن أن تتأثر بفقدان الوطن والحنين إليه ،إلا أنّ الشخصيات تعيش صراعا داخليا بين الحفاظ على ثقافتهما الأصلية والتكيف مع الثقافة الجديدة ."لم أستطيع أن أبع عالم أي منهم حتى اليوم وأغلب الظن أنني لن أستطيع ذلك أبد الدهر، لقد حدثنا مدرسونا أثناء إعدادنا عن العلاقات التي يجب أن تنشأ بين المعلمين ... يا لأحاديثهم الجميلة البهيجة "[3].

فتعكس الرواية واقعا ثقافيا وكيف يمكن أن يصبح الاختلاف الثقافي سببا للنبذ حيث يعامل بطل الرواية غريب وغير مرحب به فقط قانونيا إنّما ثقافيا واجتماعيا إذ إن الرواية لم تشر فقط عن فرد ينفى ماديا بل عن مجتمع يبعد المختلفين عنه فكريا وثقافيا وكذلك كيف يمكن أن يصبح القهر الثقافي بنفس قسوة القهر السياسي .

1 جورج سالم، في المنفى، منشورات عويدات، لبنان/بيروت، الطبعة الأولى ،سنة 1962، ص 12

2 المرجع نفسه ،ص 26

3 المرجع نفسه، ص26 / 27

الجانب الواقعي : إنّ رواية" في المنفى" لجورج سالم تتميز بواقعية الشديدة حيث تعكس تجربة المنفى والاغتراب التي عاشها الكثير من الناس في الواقع، إذ تتقدم لنا الرواية وصفا تفصيليا لحياة المنفى وما يصاحبها من شعور بالغربة والحنين للوطن مما يجعل القارئ يشعر وكأنه يعيش التجربة بنفسه ." كنت أريد أن أعرف شيئا عن المكتبة وعن كتبها وعن الذين يستعيرون فيها أو يقرؤون فيها، كنت أريد أجوبة عن التساؤلات الكثيرة التي ثارت في نفسي حول هذه النافذة التي فتحت لي فجأة على العالم، ولكني وجدت أن الرجل راغب عن الكلام "[1]. وهذا حال الإنسان المنفي والبعيد عن وطنه الأصل ومواجهة الصعوبات والرفض من قبل الوطن المنفي، إذ أن شخصية الرواية "المعلم " ليست مثالية أو خيالية بل تعكس واقع المغتربين ومعاناتهم اليومية، بتناقضاتهم وضعفهم الإنساني خاصة عند رفضهم وعدم قبولهم في الوطن المنفي والمجتمع الجديد ."لن تكون هناك حاجة للكلام في المرة القادمة أليس كذلك ؟."[2] فلم يحاول أحد أن يقترب منه، المرة ولم يجد هو بدوره مجالا لأن يقترب من أحد "[3].

إذ تعتمد الرواية على أحدث يمكن أن تحدث لأي شخص يعيش في المنفى كصعوبات الاندماج في المجتمع الجديد والحنين للوطن والعوائق الثقافية والاجتماعية التي تواجه المغتربين اعتمد جورج سالم في روايته على لغة بسيطة لكنها عميقة، بعيدا عن التصنع مما يجعل الرواية أقرب إلى الواقع وأكثر تأثيرا .

رواية "حارس التبغ" علي بدر: هي عمل أدبي للكاتب العراقي لعلي بدر تدور أحداث هذه الرواية في بغداد الاحتلال الأمريكي يستعرض "علي" تاريخ العنف في العراق منذ أحداث "الفرهود" عام 1941 ضد اليهود في بغداد وحتى سقوط بغداد في العصر الحديث فالرواية تتناول قضايا الهوية والانتماء والذاكرة في ظل التحولات السياسية والاجتماعية العميقة التي شهدها العراق، حيت يكلف صحفي بالتحقيق في مقتل الموسيقار كمال مدحت فالرواية مستوحاة ما ديوان الشاعر مع ثلاث شخصيات

1 جورج سالم، في المنفى، منشورات عويدات، لبنان/بيروت، الطبعة الأولى ،سنة 1962، ص 29

2 علي بدر، حارس التبغ، دار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت/لبنان، الطبعة الثانية، سنة 2009، ص 30

3 المرجع نفسه، ص 29

مختلفة "هكذا قد فعل كمال مدحت، فكانت له ثلاث شخصيات كل شخصية لها اسم، وعمر وملامح وقناعات، ومذهب مختلف عن الشخصيات الأخرى"[1] وهذا ما ينعكس في شخصية بطل الرواية الذي يغير هويته ثلاث مرات بسبب الظروف السياسية، ومن أبرز القضايا الاجتماعية التي تناولتها الرواية نجد:

قضية الهوية والانتماء: طرحت رواية "حارس التبغ" لعلي بدر أزمة الهوية والانتماء لدى المثقفين العراقيين، وذلك من خلال الشخصية الرئيسية الذي ينتقل بين ماضيه كطالب فلسفة وشغفه بالحياة الثقافية، وحاضره في واقع مضطرب لا يعترف بالمثقفين ويتجلى ذلك من خلال تقديم ثلاث شخصيات مختلفة لكمال مدحت بطل الرواية نموذج فريدا لتفكيك مفهوم الهوية الثابتة من خلال حياة متشعبة تنتقل بين ثلاث شخصيات مختلفة، كل منها تحمل اسما وعقيدة وخلفية مختلفة اجتماعية وسياسية مغايرة وتمثل هذه الشخصيات الثلاث تقنية أدبية مستوحاة من ديوان "دكان التبغ" للشاعر البرتغالي فيرناندوا بيسوا حيث يقدم بيسوا ثلاث شخصيات مختلفة " يقدم بيسوا في ديوان التبغ ثلاث شخصيات مختلفة، وهم عبارة عن ثلاث حالات تقمص، الشخصية من هذه الشخصيات المخترعة هي من وجوه بيسوا مقدما لكل واحد منها اسما خاص بها وعمرا محددا، وحياة مختلفة "[2] يبين هذا كيف يمكن للفرد أن يتحول من هوية إلى أخرى وعن صعوبة الحفاظ على هوية موحدة ومتماسكة في ظل الصراعات الداخلية والتدخلات الخارجية "تتحول الهوية إلى قصة يمكن الحياة فيها وتقمصها، ومن هنا يطلق هذا الفنان ضحكة ساخرة من صراع الهويات القاتلة عبر لعبة من الأسماء المستعارة والشخصيات الملتبسة والأقنعة الزائفة"[3].

قضية التهجير والمنفى: تصور رواية "حارس التبغ" لعلي بدر تجارب التهجير والمنفى التي عاشها الكثير من العراقيين نتيجة الحروب والاضطرابات وتأثير ذلك على هويتهم وشعورهم بالانتماء "فمئير يهودي من أصل عراقي هاجر من إسرائيل إلى أمريكا، والتحق بالمارنيز وجاء ضابطا في الجيش الأمريكي

1 علي بدر، حارس التبغ، دار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت/لبنان، الطبعة الثانية، سنة 2009، ص 12 .
المرجع نفسه، ص12 .
3 المرجع نفسه، ص 13

إلى بغداد وهو ثمرة شخصية الأولى، وحسين بعد تهجيره إلى طهران ارتبط بهوية شعبية "[1] بدأت رحلة يوسف صالح من بغداد إلى إسرائيل في الخمسينات لكنه لم يستطيع التأقلم وعاد سرا إلى بغداد بشخصية جديدة هي حيدر سلمان، وفي الفترة اللاحقة أجبر على مغادرة العراق مرة آخرة إلى طهران، حيت شهد الصراعات السياسية الدامية "هناك مشاريع الهجرة إلى أوروبا، عراقيون يذهبون مرحلة بعد مرحلة، يهاجرون للانضمام إلى أصدقائهم هناك ولكنهم يبقون متعلقين بمن بقي في الداخل ولاسيما في دمشق"[2] ثم انتقل إلى دمشق ليختم رحلة بالعودة إلى بغداد بشخصية الثالثة والأخيرة، كمال مدحت الموسيقار" أما فيما يخص حياته في دمشق فكل الوثائق تؤكد أن كمال مدحت وصل في الظهيرة بجواز سفره الجديد، بشخصيته الجديدة إلى دمشق سالما"[3].

تأثير الحروب والأنظمة القمعية على الفن والثقافة: تجسد شخصية كمال مدحت الموسقار، كيف يمكن للظروف السياسية والاجتماعية القاسية أن تؤثر على حياة الفنان وإبداعه وبين كيف تم استغلال الفن قبل الأنظمة المختلفة وكيف عانوا المثقفون والفنانون من القمع والتهميش "في الرابع من شهر أيلول بدأت الحرب العراقية الإيرانية، وتم إعلان إسقاط الجنسية العراقية عن المواطنين العراقيين من التبعية الإيرانية"[4] وكان الابتذال الفني يدعم السلطة السياسية ويمنحها قوة أكبر في ممارسة العنف "كان الابتذال الفني يدعم السياسي ويجعل يده في أقصى عنفها هذه الرداءة البلاغية كانت تجعل القتل والتدمير والتخريب قيما جمالية"[5]

تاريخ العنف والصراعات: تستعرض رواية حارس التبغ لعلي بدر تاريخا طويلا من العنف والاضطرابات في العراق بداية من أحداث الفرهود ضد اليهود في بغداد عام 1941م وصولا إلى

1 علي بدر، حارس التبغ، دار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت/لبنان، الطبعة الثانية، سنة 2009، ص 13 .
2 المرجع نفسه، ص 48.
3 المرجع نفسه، ص 256 .
4 المرجع نفسه، ص 20 .
5 المرجع نفسه، ص 225 .

فترة ما بعد الغزو الأمريكي،" كانت صورة بغداد تتذبذب بين عيني الحرب ، التهجير، الخطف، الإرهاب، الفشل، الاحتلال"[1] إذ نجد هذه الأحداث قد أثرت على المجتمع العراقي

تتميز هذه الرواية بأسلوب سردي معقد والمتداخل حيث تتداخل الأزمنة والأمكنة وتتعدد وجهات النظر فنجد الكاتب العراقي علي بدر يستخدم تقنية أدبية متنوعة.

1 علي بدر، حارس التبغ، دار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت/لبنان، الطبعة الثانية، سنة 2009، ص 353 .

الفصل الثـاني:

الأبعـاد السوسيو ثقـافية في رواية أن ترحل للطاهر بن جلون

- المبحث الأول: التعريف بالروائي ومضمون الرواية والقضايا الاجتماعية في رواية الطاهر بن جلون
- المبحث الثاني: أحداث الرواية وأبعاد الشخصيات في الرواية
- المبحث الثالث : الزمان والمكان في الرواية

المبحث الأول: التعريف بالروائي ومضمون الرواية والقضايا الاجتماعية في رواية الطاهر بن جلون

01- حياة طاهر بن جلون

الطاهر بن جلون "من مواليد 1 ديسمبر 1944 فهو كاتب مغربي ينتمي إلى الجيل الثاني من الكتّاب المغاربة الذين يكتبون باللغة الفرنسية وله إصدارات كثيرة في الشعر والرواية والقصة وتتميز أعماله بالطابع الفولكلوري والعجائبي، حصل على جائزة غونكور الفرنسية عن رواية " ليلة القدر".[1]

ولد" الطاهر بن جلون" في مدينة فاس، انتقل إلى طنجة مع أسرته سنة 1956، حين التحق بمدرسة فرنسية وكان قد اعتقل عام 1966 مع 94 طالب آخر لتنظيمهم ومشاركتهم في مظاهرات 1965 الطلابية، فتخلى عن الحراك السياسي ولجأ للكتابة، ودرس الفلسفة في الرباط إلى غاية 1971 حيث إعلان الحكومة المغربية عزمها تعريب تعليم الفلسفة، وردا على هذه الخطوة، غادرة المدرسة الفرنكوفوني المغرب صوب فرنسا، حيث حصل على شهادة عليا في علم النفس، وبدأت مسيرته الكتابية بعد فترة قصيرة من وصول إلى باريس حيث عمل كاتبا مستقلا لصحيفة لوموند وبدأ ينشر الشعر والرواية" .

02- مؤلفاته

بدأ الكتابة شعر مع مجموعة أنفاس بالمغرب ثم انتقل إلى الرواية و القصة ،فصدرت له العديد من الأعمال الأدبية منذ السبعينات منها روايات :"موحى الأحمق " موحى العاقل عن دار لوسوي "سنة 1961 "صلاة الغائب عن دار لوسوي "سنة 1981، وطفل الرمال عن دار لوسوي "سنة 1985 و"ليلة القدر عن دار لوسوي سنة 1987 .وهي الرواية التي حمل من خلالها على جائزة الكونكور الفرنسية في نفس السنة، كما أصدر مجموعة من النصوص القصصية والدواوين الشعرية والأنطلوجيا منها: ذاكرة المستقبل وهي انطلوجيا حول القصيدة الجديدة بالمغرب عام 1976، ديوان في غياب الذاكرة عام 1980، والمجموعة القصصية الحب الأول هو دائما الأخير عام 1995 ،ومن

[1] https://ar.wikipedia.org/wiki/ الطاهر بن جلون

أعماله الأخيرة رواية" ليلة الخطأ " 1997 ، ورواية مأوى الفقراء 1999، " رواية تلك العتمة الباهرة " سنة 2001 .

03- أهم أعماله:

أقصى درجات العزلة 1981، وطفل الرمال 1985، صلاة الغائب، ليلتئم الجرح

ليلة الغلطة 1996، نزل المساكين، أن ترحل، يوم صامت في طنجة، حين تترنح ذاكرة أمي 2006.

04- مضمون الرواية

تصور لنا رواية " أن ترحل " لطاهر بن جلون عن مآساة الهجرة غير الشرعية وعن رغبة وحلم الشباب المغرب في الرحيل بحثا عن مخرج لحياتهم، فتبدأ أحداث هذه الرواية في مدينة طنجة، بين مجموعة من شخصيات المغربية التي تراودها رغبة الهروب من واقعها البائس الذي يعيشونه في طنجة إلى حلم العبور إلى إسبانيا بحثا عن مستقبل أفضل، فنجد هذه الرواية أنها تستعرض لنا واقع شباب المغرب الذين يعانون من الفقر والبطالة كلها أسباب تدعوا إلى الحلم بحياة أفضل فهم يعيشون مئات المرات في هذا الحلم وهم جالسون في مقهى" الحافلة "التي تتحول في فصل الشتاء إلى مرصد للأحلام يقضون أوقاتهم في هذا مقهى المطل على البحر، ينظر الجميع إلى الأنوار المتلألئة في الساحل الإسباني القريب، والصمت يخيم على الجميع ولكن عقلهم تتصارع بين اليأس والأمل وبين البقاء والهروب ،فهم ينظرون للبحر كجسر ولقوارب الموت كقوارب النجاة المهم عندهم هو الرحيل من ذلك البلد فهو حلم يعيشه الكثير من الشباب المغرب الذين يعيشون على الهامش وكان من بينهم شخصية رئيسية وبطل الرواية عز العرب " عازل" شاب مغربي في الرابع والعشرين من عمره شاب حاصل على الشهادة جامعية في القانون عمل لفترة في مكتب محاماة ومن سوء حظه غلق المكتب ليجد نفسه يتدبر ثمن السجائر من أخته كنزه يعاني، وما يقدم له الحاج بعد كل سهرة التي يتولى ترتيبها، كان هو الذي يدعوا الفتيات ويختار الجميلات منهن، كان عازل يعاني من البطالة والفقر فيشعر أن طموحاته محطمة بواقع بلاده، فيدفعه هذا إلى التفكير في الهجرة والهروب من هذا الواقع البائس الذي يعيشه

في وطنه بحثا عن مستقبل أفضل . كان عازل يشعر بأنه مضطر وملعون ومقدر له على الدوام أن يخرج من نفق ليصطدم بجدار، فحاول الهجرة بكل الطرق ولم يكن الحظ معه. وفي وسط هذه الأحداث ظهرت شخصية جديدة استغلت شباب الطامحين بالهجرة، هو رجل يدعى" العافية" رجل لم يتعلم سوى قراءة الأرقام، امتهن بتهريب الشباب الطامحين للهجرة مقابل مبالغ مالية يتفق عليها الطرفان، يطلقون عليه اسم "الخزنة " أو"علبه الأسرار" فهو رجل كتوم وله سماسرة من رجال يتعاملون معه وكان له علاقات واسعة من العملاء وامتدت حتى مع رجال الشرطة الذين يتلقون منه رشاوي، ففي هذا الموقف كان نور الدين ابن عم عازل، أحد الشباب الذين أغرتهم فكرة الهجرة لكن الحظ لم يكن معه وابتلعه البحر، فتحول حلمه إلى جثة طافية فهذه الفاجعة دفعت عازل إلى البحث عن طريق أخر للوصول إلى إسبانية طريق شرعي وآمن ،ففي مساء من المساءات دخل عازل الحانة التي يتخذها " العافية "وكرا لأحلام المهاجرين ،كانت الجدران هناك تحفظ أنفاس المقهورين والهواء ثقيل برائحة الخيبات ،فحدثت شجار بين الطرفين حين أنكر أنه استلم مبلغا ماليا من نور الدين قبل أن يغرق في البحر، رغم أن كان عازل شاهد لما أعطاه المبلغ، فقاموا رجال العافية يضرب عازل ثم ألقوه إلى الشارع، وعندما داهمت الشرطة تلك الحانة ضمن عملية التطهير المدينة من المهربين والخارجين على القانون هرب العافية إلى إسبانيا، وترك عازل في الحانة وكان في ذلك الوقت لم يحمل معه هويته فاعتقل مع الآخرين وادخلوه إلى السجن تعرض لأبشع أنواع التعذيب، وأخيرا أنقذه ميكال رجل إسباني بين أيادي الشرطة، إذ دعت الشرطة أنها عثرت عليه ملقي في الطريق تعرض إلى الضرب من قبل الزعران، بعد ساعات رأى عازل وجه ميكال الذي جاء ليصطحبه رجل إسباني لافت يقضي فصل الصيف في طنجة والفصول الأخرى أسفار حول العالم . فكان عازل في تلك اللحظة يشعر أن هذه المرة سيتحقق حلمه ويصل إلى ما يريد، كان عازل يود أن يطلب المساعدة من ميكال ليتمكن من حصوله على التأشيرة الإسبانية ولم يستطيع على ذلك، سهام صديقته على أن تطلب منه ولم يوافق على مساعدتهم، لكن في الأخير قبل أن يسافر ميكال قرر أن يساعد عازل، وبفضله أتيحت الفرصة لعازل أن يغادر الوطن وتحقيق حلمه إذ تمكن من الحصول على التأشيرة الإسبانية غادر البلد واستقبل الطائرة للمرة الأولى في حياته عندما وصل عازل إلى البلد أحلامه استقبله سائق ميكال

وأخذه إلى البيت فوجد نفسه في غرفة الخدم كان يعمل في النهار كمساعد في البيت وفي الليل يلجأ إلى العلاقة الجنسية مع رجل الإسباني ميكال ولكن رغم كل هذا يرى أن هذه الحياة أرحم من الواقع البائس الذي عاشه في طنجة. من هنا تبدأ قصة سهام التي تحلم أيضا بالهجرة فنجد سهام التي كانت تربطها علاقة غامضة بعازل، تقرر أن تخطوا خطواتها نحو حياة جديدة، فتوجهت إلى القنصلية الإسبانية،وقدمت أوراقها وكان الحاج سهلا لها في ترتيب الأمور، حيث عثر على فرصة عمل لها كممرضة تعتني بسيدة معاقة تعيش مع عائلة سعودية في ماربيا. وبعد أيام تعود ذكريات سهام مع عازل خاصة عندما صادفته مجددا في إسبانيا لكن هذه المرة يكشف لها عازل الحقيقة القاسية بأنه ليس أكثر من عشيق لميكال، هذا هو عمله الذي وجده في إسبانية. وبالعودة إلى محمد العربي ذلك الشاب الذي يعيش في عزلة عن العالم، فهو يحمل في داخله أحلام كبيرة تدفعه إلى مغادرة وطنه فتمر به الأيام من الاضطراب النفسي والحيرة فيلجأ إلى المساجد للصلاة، بعد أن كان شخصا معادا للجميع فتغيرت نظرته وأصبح إنسان جيدا .فقد ظل محمد العربي يحلم بالهجرة فساعده خاله في تحقيق حلم السفر، الذي هاجر منذ عشرين عاما، إلى بلجيكا ثم استقر هناك، ليصبح أحد أبرز ممثلي الجالية المغربية المسلمة في بروكسل، فنجده ينظر إلى الغرب على أنه مجتمع فاسد، فحبس ابنته نادية في البيت لمجرد كلمت أحد الفتيان ، فعندما كشف أن خالد يتواصل سرا مع فتنتهي حكايته بإرساله إلى معسكر تدريب في باكستان، فتنقطع أخباره مجرد سفره إلى باكستان. بعد عام قضاه عازل في إسبانيا عاد إلى المدينة ومعه أغلى الهداية لأمه وشقيقته، فزادت رغبة أخته في السفر، فطلبت من أخيها أن يطلب من ميكال أن يساعدها على الهجرة، فعرض عازل على ميكال الزواج من أخته كنزة ولو كان شكليا، لتتمكن كنزة من السفر إلى إسبانيا بسهولة، فوافق ميكال ولم يعترض حبا له، وكان ذلك بعد اعتناقه للدين الإسلام وأصبح اسمه منير، بعد ثلاثة أشهر من زواجهم تحققت رغبة كنزة و تمكنت من الحصول على التأشيرة الإسبانية سافرت واستقبلها ميكال في المطار كأميرة، بعد عدة أيام تجد كنزة نفسها تعمل راقصة في أحد المطاعم، وعازل لم يعد ذلك الرجل الذي يعود باكرا إلى ميكال، صار عازل يغيب لساعات طويلة ويقضي أوقاته عند الفتيات وعندما يعود إليه في أخر الليل يشم ميكال رائحة امرأة، رائحة تكشف عازل ما يحاول إخفاءه وكان يعاني من اضطراب نفسي في داخله

خائفا أن يفقد رجولته مما يفعله بعد هذا وجد عازل نفسه في مأزق بعد أن طرده ميكال من المنزل بسبب تدهور علاقتهما مع بعض، ولم يمضي وقت طويل حتى القي القبض على عازل بسبب انتهاء مدة إقامته في إسبانيا، فاقترح عليه ضابط الشرطة أن يتعاون معهم مهمته التجسس على أعضاء الجماعات الإسلامية في إسبانيا، وهكذا ينتهي به المطاف مجرد مخبرا للشرطة الإسبانية التي دبرت له وظيفة في أحد البنوك كغطاء لعمله الحقيقي ،ولكن النهاية لم تكن متوقعة حين انقطعت أخبار عازل اقتحمت الشرطة شقته فوجدته مقتول بطريقة وحشية على يد الإسلاميين مذبوحا كما تذبح الأضحية في العيد.

05- القضايا الاجتماعية في رواية الطاهر بن جلون:

يشكل الجانب الاجتماعي محورا أساسيا في رواية" أن ترحل" للكاتب المغربي الطاهر بن جلون فقد صورت الرواية الأبعاد والمظاهر الاجتماعية المختلفة لأنها تستعرض لنا أحوال الناس وما يعانون من مآسي داخل المجتمع وتحديدا واقع المجتمع المغربي والمجتمعات العربية الإسلامية بشكل عام حيث عالجت الرواية التي بين أيدينا "أن ترحل" لبن جلون التجارب والقضايا الاجتماعية والثقافية التي تمحور حول الهجرة غير الشرعية والاغتراب و الفساد والدعارة إذ يركز بن جلون على الجوانب السلبية في المجتمع المغربي، انطلق بن جلون في هذه الرواية من تصوير واقع شباب المغرب في طنجة التي يتخذها موقعا لسرد أحداث هذه الرواية بداية من شخصية عازل الراغب والحالم في الهجرة إلى إسبانيا إلى الكشف عن الصعوبات والواقع القاسي الذي ينتظر المهاجرين من أهم هذه القضايا نذكر منها :

أ. قضية الهجرة والاغتراب:

تعتبر قضية الهجرة غير الشرعية في رواية" أن ترحل" القضية الأساسية إذ يصور لنا الكاتب رغبة مجموعة من الشخصيات التي تعيش في واقع بائس " الرحيل عن البلد...كان هاجسه الدائم، ضربا من الجنون يتحمل في رأسه ليل نهار، كيف السبل إلى النجاة من هذا الوضع اليائس، وما العمل للخلاص من هذا الذل؟ أن يرحل وأن يغادر هذه الأرض التي تتنكر لأبنائها وأن يعود إليه

ذات يوم عزيز النفس وربما ثريا "[1] الكثير منهم عبارة عن شخصيات مثقفة تعاني من البطالة والفقر، وهذا ما يشعرهم أن طموحاتهم محطمة بواقع بلادهم وهذا ما جعل الكثير من الشباب الغرب يخاطرون بحياتهم لتحقيق حلم الهجرة والهروب من ذلك الواقع المرير الذي يعيشونه في وطنهم والتحرر من القيود الاجتماعية والسياسية التي يعانون منها في بلدهم بحثا عن بناء مستقبل واعد في أرض جديدة ." أناس يتسللون، يخاطرون يهجرون أرضهم سعيا وراء فرصة في بلد حيث المال هو الملك، في كل بقعة من هذه الأرض هناك أناس يصيبون إلى اقتلاع جذورهم، إلى الرحيل كأنهم يفرضون ناجين بأنفسهم من خطر وباء، ومن مرض ينبغي الفرار"[2]. كان عازل يعيش في البلاد بوضع قانوني ، كان في الواقع واحدا من أولئك الذين لا يحملون أوراقا رسمية تثبت هويتهم أو وضعهم القانون كان في البداية وافدا دخل البلاد بشكل شرعي لكن مع مرور الوقت تنتهي صلاحية إقامته يعجز عن تجديد وثائقه " من هو المقيم بصفة غير شرعية؟ إنه الأجنبي الذي لا يملك أوراق ثبوتية، وافد خلسة أتلف كل ما يدل على هويته لكي يصبح من المستحيل على السلطات أن تعيده إلى بلاده"[3].

ب. قضية الفقر والبطالة:

تعد قضية الفقر والبطالة في أبرز المظاهر الاجتماعية التي تناولها الكاتب بن جلون في رواية "أن ترحل" فهم من أهم الأسباب والحوافز المشجعة على مغادرة الوطن والهجرة بحثا عن مكان جديد لتحقيق الإمكانيات"معظم من أهالي الحي نفسه لا يملكون إلا ما يسدون به ثمن القدح الشاي وبيبة الكيف بعضهم في المقهى حساب لقيد الديون"[4] ويتجلى ذلك في الرواية عندما وصف الكاتب معاناة شباب المغرب الذين يعيشون في طنجة فهم يعانون من البطالة والفقر والقمع السياسي، فنجد هناك من يستسلم لهذا الواقع ومن لم يستطيع تقبل هذا الواقع مثل شخصية عازل شاب المغربي الذي يحمل

1 الطاهر بن جلون، أن ترحل، ترجمة بسام حجار، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء/ بيروت، الطبعة الأولى، سنة 2007 ص 20.

2 المصدر نفسه، ص 178 / 179 .

3 المصدر نفسه، ص 273 .

4 المصدر نفسه، ص 8 .

شهادة في القانون لكنه يعيش حالة من الإحباط بسب الفقر والبطالة لذا يحول قضية الهجرة حل الوحيد لمشاكلهم من الذين اختاروا الهجرة السرية المخرج الوحيد لتحقيق أحلامهم، بلد آخر مختلف يوفر لهم فرص غير متاحة في وطنهم " أدرك عازل أن مستقبله بات على المحك وأنه لن يجد عملا من دون واسطة أمثاله كانوا كثيرا، لذلك شارك في اعتصام حاملي الشهادات العاطلين عن العمل أمام مبنى البرلمان في الرباط"[1].

ج. قضية الاستغلال والعنف:

تكشف هذه الرواية عن شبكات التي لها الخبرة في تهريب واستغلال المهاجرين إذ نجد في الرواية مليئة الأشخاص التي تقوم الأنشطة الإرهابية التي تنفذها جماعات إسلامية متطرفة داخل أوروبا حيث يجد عازل نفسه متعاونا مع الشرطة الإسبانية في مهنة التجسس على أعضاء الجماعات الإسلامية "هكذا أضحى عازل مخبرا للشرطة الإسبانية، نجا بحياته ولكن باع روحه"[2] وكذلك رجل العافية الذي ينظم رحلات غير شرعية، لقد امتهن في تهريب شباب المغرب الذين يعيشون في طنجة، الطامحين في الهجرة مقابل مبالغ مالية " اشتهر بكونه معبرا أي المهرب الذي يكدس في زوارق مهاجرين غير شرعيين عازمين على عبور المحيط، فيضمرون النار وثائقهم وأوراقهم الثبوتية لكي لا يتم ترحيلهم مجددا"[3] فقد تمثلت شخصية نور الدين هذا الموقف أحد الشباب الذين أغرتهم فكرة الهجرة وخاطر في حياته ولم يكن الحظ معه إذ تعرض للاستغلال من قبل المهربين الذين دفع لهم مبلغا ماليا وأنكروا ذلك "اشتهر بكونه سيد أساليب الفساد، خبيرا بطباع الناس جميعا، عليما بنقاط ضعفهم احتياجاتهم، بارعا في الاحتيال على المستويات كافة "[4] فنجد أيضا في الرواية الكثير من المهاجرين الذين تعرضون إلى العنف الجسدي والجنسي من قبل المهربين الذين يرونهم سوى وسيلة لتحقيق رغباتهم المادية

1 الطاهر بن جلون، أن ترحل، ترجمة بسام حجار، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء/ بيروت، الطبعة الأولى، سنة 2007 ص19.

2 المصدر نفسه، ص 280 .

3 المصدر نفسه، ص 13 .

4 الطاهر بن جلون، أن ترحل، ص17 .

يهاجرن الوطن بحثا عن أفضل ولكن يجيدون أنفسهم معرضين الاستغلال والعنف في هذه الدول ويواجهون واقع أقسى من الذي كانوا يعيشونه في وطنهم، يغامرون بأرواحهم في وظائف خطيرة دون أي حقوق وحماية إضافة إلى استغلال حالة النساء في الدعارة كسبيل للعيش.

د. قضية تفكك الأسرة والعلاقات الاجتماعية:

تعد الهجرة أحد أساليب التي تؤدي إلى الانفصال والتفكك الأسرة والابتعاد عن العائلة وعن الوطن، فهم يعيشون في الوحدة والعزلة دون أن يجيدون من يساندهم ويقف إلى جانبهم فنجد في رواية" أن ترحل" تستعرض لنا الآثار النفسية والاجتماعية لهذا التفكك إذ يظهر ذلك في هجرة عازل إلى إسبانيا وترك أمه وشقيقته وحيدتين "ألقى عازل نفسه وحيدا في غرفة الضيقة، كان يرغب فعلا في الخروج منها إلى نطاق المدينة "[1] فنجد الكثير من المهاجرين يرحلون من البلاد لأسباب وظروف مأسوية يتركون عائلتهم من أجل، إرسال لهم الأموال لتحسين من أوضاعهم.

قد يجد المهاجرون أنفسهم غرباء عن أهلهم ويعيشون في عزلة ويعانون من الاكتئاب والقهر"هانذاك بعيدا عنك ومنذ اللحظة تم ما أفتقده فيك وحدتي أفكر فيك، أفكر في من هجرتهم هناك وخاصة أمي، تراها ما تفعل في اللحظة التي أكتب فيها؟من المؤكد أنها تعد طعام العشاء وكنزة؟ لن تتأخر في العودة إلا كانت الليلة هي موعد نوبتها، أما رفاقي أراهم بوضوح جالسين في المقهى "[2]. إن ترك الأسرة وهجرتهم ليست مجرد انتقال من مكان لآخر بل رحلة عن مشاعر تفكك العلاقات الاجتماعية بين الأشخاص وغالبا ما يترك ذلك جروحا لا تزول بسهولة.

ه. قضية الحلم والخيبة:

نجد في رواية "أن ترحل" تتعمق فكرة الحلم الأوروبي الحلم الزائف، "أنت تعلم أن أعدادا متزايدة من الشباب لا يراودها اليوم سوى حلم واحد أن ترحل عن البلد، أن تغادر هذا البلد"[3] حيث تتحول

1 المصدر نفسه، ص 88 .

2 المصدر نفسه، ص 89 .

3 الطاهر بن جلون، أن ترحل، ص 55 .

أحلام هذه الشخصيات إلى كوابيس من المعانات، ففي هذه الرواية حلم شباب طنجة مثل "عازل" في الهجرة إلى إسبانيا طمعا بحياة كريمة ومستقبل أفضل والخروج من الواقع البائس الذي يعشونه في وطنهم " أنتبه عازل من أحلام يقظة وعاد أدرجة داسا يده على في جيبه، التقى الهر في طريقه، فبادر بالتحية كما لو أنه كائن بشري أنت أيضا تود أن ترحل أنت أيضا أصابتك عدوى الرحيل، والسبب معلوم، تشعر بضيق هنا، تتعرض لسوء المعاملة، وينالك الركل من كل صوب، تحلم بحياة أفضل، أكثر رفاهية"[1]. تتحول جميع أحلامهم الذين غامروا بحياتهم إلى خيبة أمل ويواجهون تحديات وصعوبات أقسى من تلك التي عانوها في بلدهم "فالزمن الحاضر أشد صعوبة وقسوة مما كان عليه في الماضي ويتطلب من المرء كفاحا متصلا بلا هوادة لا شيء مكتسبا سلفا، لا شيء مِنحة سواء كان من الهامشين جنسيا"[2].

و. قضية الشعور بالوحدة وصعوبة الاندماج:

يعد شعور بالغربة والوحدة من أهم القضايا الاجتماعية التي تناولها بن جلون في روايته "أن ترحل "فنجد شخصية الرئيسية "عازل" يعيش حالة من الوحدة والابتعاد عن الوطن وهذا ما يولد لديه شعور وإحساسا عميق بالاغتراب" بلدي العزيز هأنذاك بعيدا عنك ومنذ اللحظة ثم ما أفتقده فيك في وحدتي، أفكر في من هجرتهم هناك وخاصة أمي"[3] قد نجد الكثير من شخصيات هذه الرواية تعاني من هذا الشعور وصعوبة التأقلم مع الوطن الجديد لأن عند وصولهم إلى البلدان الأخرى يواجهون ثقافات جديدة يجيدون أنفسهم أمام عادات وتقاليد مختلفة " أعترف بأنني محيط، ولعل السبب هو أنني نافذ الصبر، مستنفذ متعب، وهناك أيضا اختلاف المناخ ثم الخوف مما هو جديد الخوف بأن لا أكون أهلا له"[4].

1 المصدر نفسه، ص 46 .

2 المصدر نفسه، ص 126 /127

3 المصدر نفسه، ص89 .

4 الطاهر بن جلون، أن ترحل، ص 89 .

ز. قضية التهميش الاجتماعي والتميز العنصري:

تبرز لنا الرواية أشكالا مختلفة من الظلم الاجتماعي والتهميش الذي يعاني منه شباب المجتمع المغربي مثل النساء وشخصية "عازل "الشاب العاطل عن العمل وهذا ما يدفعهم للتفكير بالهجرة كخيار للهروب من الواقع "فلم تعد لي العيش على الأرض، في هذا البلد، كل شيء مزيف وكل الناس سيتدبرون أمورهم كيفما، اتفق وأنا أرفض أن أكون مثلهم لقد درست الحقوق في بلد يجهل الحقوق متظاهرا بفرض احترام القوانين "[1].

ح. قضية الجنس والدعارة:

يشير بن جلون في روايته إلى قضية اجتماعية حساسة عن بعض التحولات الأخلاقية والدعارة كظاهرة موجودة في المجتمع المغربي وربطها باليأس والبحث عن المال، دخل شباب المغرب الذين هاجروا في علاقات محرمة لم يكونوا يتخيلوها في وطنهم "أنجل من نفسي لست فخورا بما أنا عليه آه يا بلدي العزيز لو أنك ترى ما آلت حالي؟ لا أكف عن اختلاف أعذار، والبحث عن تسويات لأبرز نفسي أغمض عيني كلما لمسني، أترك له جسدي وأذهب في نزهة"[2]. ذلك من أجل البقاء إذ نجد في الرواية عازل بطل الرواية مضطر للتضحية بكرامته بدخوله في علاقة جنسية مثلية مع رجل إسباني لتحقيق حلمه "كيف لي أن أقول إن ابنها ليس عطايا، بل رجل يستلقي انبطاحا، مومسا رخيصة، خائنا، مرتدا على هويته، وجنسه "إضافة إلى استغلال من النساء في هذا الجانب إذ تجد بعض الفتيات أنفسهن مجبرات على ممارسة الدعارة وبيع الشرف من أجل تأمين على لقمة العيش وهذا ما يؤثر سلبا على الهوية الجنسية والاجتماعية.

1 المصدر نفسه، ص 15 .

2 المصدر نفسه، ص 103 .

المبحث الثاني: أحداث الرواية وأبعاد الشخصيات في الرواية

01- أحداث الرواية

عالج الطاهر بن جلون في روايته " أن ترحل " أحداث مهمة لواقع المغاربة الذين يحلمون بالهجرة إلى إسبانيا بسبب الفقر والبطالة فهم يعيشون في صراع بين الانتماء والرغبة في الهروب من الواقع المرير والبحث عن حياة أفضل. إن أحداث هذه الرواية تدور بين مجموعة من الشخصيات التي يراودها حلم الوصول إلى الضفة الأخرى لذلك فأحداث هذه الرواية تتغير من حدث لأخر .

أ. بداية الحدث

بدأت أحداث هذه الرواية في طنجة في مقهى "الحافلة" المطل على البحر بين مجموعة من الشباب المغاربة الذين يعيشون على الهامش تراودهم أحلام العبور إلى إسبانيا بحثا عن مستقبل أفضل. "يتطلعون إلى البحر والغيوم التي تختلط بالجبال، منتظرين تلألؤا لأنوار الأولى من جهة إسبانيا "[1].

ب. الواقع البائس والمرير الذي يعيشه شباب المغرب :

بدأ الحدث الرئيسي في هذه الرواية عن بطل مغربي اسمه عز العرب "عازل" يعيش في مدينة طنجة شاب يعيش واقع مرير في وطنه فهو شاب حاصل على شهادة في القانون لكنه يعاني من البطالة والفقر وعدم امتلاك أساسيات الحياة كالوظيفة والمال "أدرك عازل أن مستقبله بات على المحك وأنه لن يجد عملا من دون واسطة، أمثال كانوا كثير، لذلك شارك في اعتصام حاملي شهادة العاطلين عن العمل"[2] فيشعر أن طموحاته محطمة بواقع بلاده، فيدفعه هذا إلى التفكير في الهجرة والهروب من هذا الواقع البائس الذي يعيشه في وطنه بحثا عن حياة أفضل في وطن الغرب " فلم

1 الطاهر بن جلون، أن ترحل، ص7

2 المصدر نفسه، ص 19 .

تعد لي رغبة في العيش على هذه الأرض في البلد، كل شيء مزيف وكل الناس يتدبرون كيفما اتفق وأنا أرفض أن أكون مثلهم"[1].

البعد الاجتماعي لهذا الحدث يكمن في الأسباب التي تؤدي بالفرد إلى الرحيل منها الفقر والبطالة كسبب رئيسي لهذا الهروب، فإشارة إلى عدم امتلاك عازل لأساسيات الحياة يصور الوضع الاقتصادي الصعب له، والواقع الاجتماعي القاسي الذي يعيشه هذا الشاب المتعلم فهو يعاني من ظاهرة البطالة والفقر وغياب الفرص العمل وهذا ما يعكس انهيار أحلامه أمام هذا التهميش الاجتماعي، مما دفعه هذا إلى التفكير في الهجرة والهروب كحل لهذا الواقع الذي يحطم طموحاته.

ج. استغلال المهربين للشباب في الهجرة غير الشرعية :

بمساعدة رجل يدعى" العافية "خبير في مجال التهريب الشباب الطامحين بالهجرة مقابل مبالغ مالية متفق عليها الطرفين، استغل العافية الكثير من شباب المغرب وكان ضمنهم نور الدين رفيق عازل وابن عمه أحد الشباب الذين أغرتهم فكرة الهجرة فخاطرة بحياته بقوارب الموت، فلم يكن الحظ معه، إذ غرق في البحر أثناء محولته للهجرة ." نور الدين كان قد غرق خلال إبحار ليلي لأن رجال العافية حملوا المراكب ما يفوق سعتها من المهاجرين"[2] هكذا نجد موت نور الدين تحولت إلى رمز لمخاطرة الهجرة الغير الشرعية .

البعد الاجتماعي لهذا الحدث عميق ومؤلم يكمن في إبراز الوجه القاسي للهجرة غير الشرعية واستغلال ضعفاء النفوس من قبل هؤلاء المهربين حيث يستغلون فقرهم وأحلامهم لتحقيق مكاسب مادية، فهم يخاطرون في حياتهم بالهجرة الغير الشرعية دون أن يفكرا بعواقب ذلك، وجسد ذلك في قصة نور الدين وقصة التي تحولت إلى رمز مؤلم للشباب الراغبين بالهجرة.

1 الطاهر بن جلون، أن ترحل، ص 16 .

2 المصدر نفسه، ص15 .

د. تأثر عازل في موت ابن عمه نور الدين :

في أحد الليالي التي أعلنوا عن العثور على جثث ضحايا البحر، عندما سمع عازل هذا الخبر لم يستطيع النوم طوال الليل وكان يتساءل مع نفسه ما الذي يدفع الناس إلى هوس الرحيل عن المغرب؟ "لم يغمض لعازل جفن ما السبب هذا الهوس في مغادرة المغرب ؟وما مصدر هذه الفكرة؟"[1] استيقظ من فراشه خرج إلى الشرفة التي تطل على مقبرة "مرشان " بدأ يعد القبور حتى وصل إلى جثة نور الدين، فلم يستطيع عازل أن يتصور ما حل بجسد صديقه وابن عمه ذلك الجسد الذي شوهته مياه البحر" كانت جثة نور الدين لا تزال سالمة، كانت منتفخة بفعل الماء"[2] فتأثر عازل كثيرا في هذا الموقف، مما جعله أن يبحث عن طريقة شرعية وآمنة للوصول إلى إسبانيا.

البعد الاجتماعي في هذا الحدث يتحدث ع هوس الهجرة والمخاطرة بالحياة تناول قضية الهجرة غير شرعية في المغرب ومخاطرة بحياتهم بسبب غياب الفرص العمل والفقر، وتعد الهجرة ظاهرة اجتماعية مؤلمة حيث يصبح الموت مصيرهم ويتحولون إلى جثث مجهولة الهوية و يخلف ذلك فقدان والألم للعائلة والمجتمع مثل موت نور الدين الذي تركت جرحا عميقا في قلب عازل وفي المجتمع المغربي.

ه. محاولة عازل الحصول على تأشيرة الإسبانية" الهجرة غير شرعية"

استنفذ عازل كل جهوده في الحصول على تأشيرة الإبحار ولكن لم يستطيع من ملئ استمارة التأشيرة في القنصلية الإسبانية، رغم كل هذا لم يستسلم ظل يحاول أن يحقق حلمه "الرحيل عن البلد كان هاجسه الدائم ضربا من الجنون يعتمل في رأسه ليل ونهار كيف السبيل إلى النجاة من هذا الوضع البائس ة الخلاص من هذا الذل؟ أن يرحل أن يغادر هذه الأرض التي تنكر لأبنائها"[3] فطارد حلمه حتى تحقق أخيرا وكان ذلك بمساعدة رجل إسباني اسمه ميكال، كان رجل يتمتع بأناقة لافتة،

1 الطاهر بن جلون، أن ترحل، ص 26 .

2 المصدر نفسه ص 26 .

3 المصدر نفسه، ص20 .

يقضي فصل الصيف في طنجة أما باقي الفصول يقضيها في أسفار حول العالم، في مساء من مساءات وجد ميكال وسائقه عازل مرمي في الأرض وجسده يعاني من الإصابات، تعرض إلى الهجوم من قبل رجلين يكادان أن يقضيان علية، ولكن تجرأ على تحديهم ومواجهتهم، وكان متيقنا أن حياته ستتغير جذريا من تلك اللحظة، لما حاول النهوض تلقى ضربة أخرى أطاحت به في الأرض. " لما حاول النهوض وتلقى ركلة أخرى رمت به مجددا سوية الأرض" [1]في تلك اللحظة توقفت سيارة ميكال، وهربا الرجلان بسرعة نزل ميكال وسائقه من السيارة، وساعدا عازل على الوقوف وذهب معهم إلى بيت ميكال " ترجل ميكال وسائقه لينهضا عازل عن الأرض ويحملاه إلى السيارة "[2] وفي اليوم التالي عاد عازل إلى الفيلا، مصحوبا معه سهام التي قدمها على أنها خطيبته، استضافهما بابتسامة، تجرأت سهام أن تسأله إذا كان يستطيع مساعدتهم في الحصول على تأشيرة " أجاب ميكال أعلم ذلك، لستما أول من يطلب مساعدتي، أمر مؤسف أن تصل الأمور في بلد إلى حد يجعل صفوته راغبة في الهجرة "[3] بعد ذلك خرج عازل وسهام ولم يوافق ميكال على مساعدتهم .

البعد الاجتماعي يكمن في الوضع الاجتماعي الذي يدفع الكثير من شباب إلى اليأس ومحاولتهم الهجرة بأي طريقة إذ يصبح عندهم الهروب من المغرب حلما لتخلص من العنف والذل فنجد فشل عازل في الحصول على التأشيرة بشكل قانوني أدى به إلى التفكير بطرق غير شرعية ويعرض حياته للخطر والاستغلال من أجل سفره إلى إسبانيا.

و. دخول عازل إلى السجن :

ذهب عازل متجها نحو الحانة، لكنه لم يجد "العافية "ورجاله فحذره أحد الشباب أن هناك عملية تطهير البلاد من المهربين بينما كان عازل يستعد لمغادرة الحانة رأى مجموعة من رجال الشرطة

1 الطاهر بن جلون، أن ترحل، ص 48 .

2 المصدر نفسه، ص 48 .

3 المصدر نفسه، ص55 .

داهموا عليهم "حين هم عازل بالمغادرة داهم شرطيون بملابس مدنية الحانة"[1]وكان عازل في ذلك الوقت لم يحمل هويته معه" من لا يحمل بطاقته فليصعد إلى عربة المساجين، هيا أسرعوا، تنتظرنا مهام كثيرة أخرى، بأمر من الرباط "[2] فأعتقل معهم وأخذوه إلى السجن فتعرض لأبشع أنواع التعذيب والاستغلال، وأخيرا أنقذه ميكال وادعت الشرطة أنها عثرت عليه ملقي على الطريق تعرض للاغتصاب من قبل زعران "أدعى رجال الشرطة أنهم أنقذوا عازل من أيدي زعران كانوا يهمون باغتصابه"[3]. مكث عازل في بيت ميكال بضعة أيام حتى تماثل بالشفاء، خلال ذلك اتصل بوالدته ليطمئنها ويخبرها أنه موجود في الدار البيضاء من أجل عرض عمل .

البعد الاجتماعي يكمن في غياب العدالة نكلفية لهذه المعانات وانعدام الأمن القانوني حيث يختلطون بين المفسدين والأبرياء فيشير هذا الحدث إلى أن المجتمع المغربي يعاني من المفسدين ويعاني من العنف والقمع يتجلى ذلك في اغتصاب عازل للاغتصاب من قبل رجال الشرطة أي استخدام العنف الجنسي كأداة للتهريب والسيطرة .

ز. نجاح عازل في تحقيق حلمه بالهجرة إلى إسبانيا :

تمكن عازل في الحصول على التأشيرة الإسبانية وكان ذلك على حساب كرامته وهويته الجنسية، قبل في تحقيق رغبته وكان ذلك قبل ذهاب ميكال إلى إسبانيا قرر أن يساعد عازل وقدم له استمارة طلب تأشيرة وأمره أن يملأ الاستمارة بالمعلومات الخاص به، "إملأ الاستمارة وسوف أرسل لك الأوراق اللازمة، فمن حيث المبدأ لا بد أن تحصل على تأشيرتك إذا كانت جميع أوراق سليمة وسأحرص بدوري أن تتلقى القنصلية نسخة من عقد عمل أتعهد فيه بتوظيفك "[4] ملأ عازل الاستمارة

1 الطاهر بن جلون ، ص61 .
2 المصدر نفسه، ص 61 .
3 المصدر نفسه ، ص 65 .
4 المصدر نفسه، ص 79 .

متحمسا وكان شعوره أنه هذه المرة سيتحقق حلمه ويصل إلى ما يريد، فعلا هذه المرة تحصل عازل على التأشيرة " اليوم يوم مشهود في نظري، لقد أتيحت لي إمكانية لا بل فرصة أن أذهب، أن أغادر"[1].

البعد الاجتماعي لهذا الحدث يتجلى في التعقيدات الهجرة وتأثيراتها على الفرد والمجتمع إذ يكشف لنا الحدث أن فرص الهجرة غير متاحة للجميع، وهذا ما يدفعهم إلى التضحية بنفوسهم وبكرامتهم وتخلى عن هويته الجنسية مثل"عازل" شرطا للحصول على التأشيرة الإسبانية، فالكثير نجدهم يستخدموا الهجرة كأداة للضغط على الأفراد لتغيير هويتهم والتخلي عن حقوقهم من أجل الحصول على الوثائق.

ح. مغادرة عازل للمغرب وطن الأم :

لقد أتيحت الفرصة لعازل لمغادرة الوطن سافره ميكال معه إلى إسبانيا، غادر عازل المغرب واستقبل الطائرة للمرة الأولى في حياته ترك أمه وأخته كنزة وحيدتين "كان عازل يغادر المغرب ويستقبل الطائرة للمرة الأولى في حياته"[2] وصل عازل إلى إسبانيا واستقبله سائق ميكال أخذه إلى البيت، بعد ذلك جهزوا له غرفة الخدم ليقيم فيها، وكان يعمل في النهار كمساعد ميكال في البيت الشاسع وفي النهار يشفي جروحه بالجنس أصبح عشيق ميكال الذي يكبره سنا، وجد عازل نفسه مضطر للدخول في العلاقة جنسية مثلية غير متكافئة مع رجل إسباني ثري "إنه شيء مهمّ في حياتي، أحبه كثيرا، لقد ساعدني وهو الآن يساعد عائلتي لكننا لا نعيش إلا بمساعدة الآخرين .هو يقول إنه يحبني، إنه مغرم، لم أعد أنتصب فأرغمني ذاك اليوم على ابتلاع قرص أزرق، قرص فياغرا، أتجدين أن أمرا كهذا عادي في مثل سنّي؟ أنا عاهرة، هذا حقيقة ما أنا علية، أو الأحرى ما أعتقد أنني أصبحت عليه"[3]. لكن رغم كل هذا الذل كان يرى أن هذه الحياة أرحم من جلسات المقهى اليائسة في طنجة .

1 الطاهر بن جلون، أن ترحل، ص 83 .

2 المصدر نفسه، ص 82 .

3 المصدر نفسه، ص 163 .

البعد الاجتماعي لهذا الحدث يتعلق بالهجرة غير الشرعية إذ يضطر عازل شاب المغربي أن يغادر وطنه بسبب الظروف الصعبة التي يعيشها بحثا عن حياة أفضل في إسبانيا فيجد نفسه في الاستغلال الجنسي إذ يدخل في علاقة غير متوازنة مع ميكال الرجل الإسباني فالهجرة غير الشرعية تفرض على الهاجرون التخلي عن كرامتهم من أجل البقاء.

ط. زيارة عازل للمغرب ومساعدة أخته في الهجرة

بعد عام قضاه عازل في إسبانيا، عاد إلى المدينة محملا بالهدايا لأمه وشقيقته كنزة، تلك المرأة الفاتنة، أصرت كنزة من عازل أن يطلب من ميكال أن يتزوج منها ولو كان ذلك شكليا لتتمكن من الحصول على التأشيرة الإسبانية بسهولة "مع أنك الوحيد الذي يستطيع أن يفاتحه بالأمر معرفتي به لا تسمح لي أن أسؤله هكذا من دون مقدمات، إذا كان يقبل الزواج مني بموجب عقد صوري"[1] تجرأ عازل عن كشف رغبة كنزة لميكال بهدف تمكين شقيقته السفر إلى إسبانيا وتحقيق حلمها بالرحيل ولم يعارض ميكال على طلبه حبا له، وكان ذلك بعد أن

أشهر ميكال الإسلام وأصبح اسمه منير، بعد ثلاث أشهر تحقق حلمها واستقبلها في المطار إسبانيا كأميرة بباقة ورد ضخمة" بمضيّ ثلاثة شهور حطّت كنزة في برشلونة كأميرة حقيقية استقبلها ميكال في المطار محتجبا خلف باقةٍ ضخمة من الورد، وكانت يداها ورجلها مزينتين بالحنة "[2] أصبحت كنزة الطموحة تعمل في الصليب الأحمر تقدم عروض رقص شرقي بعد أيام عزمت كنزة على الانتقال للعيش غي غرفة بمقر الصليب الأحمر

البعد الاجتماعي: يبرز لنا الحدث أن رغبة الهجرة ليست عند الشباب فقط حتى الفتيات يحاولون الهروب فنجدهم يستخدمن الزواج الشكلي كأداة للهجرة إذ نجد كنزة نموذج للمرأة الطموحة

1 الطاهر بن جلون، أن ترحل، ص 136 .

2 المصدر نفسه، ص 165 .

في الهجرة ويصور لنا أيضا محاول التكيف الاجتماعي والثقافي يكمن ذلك في انتقال كنزة إلى إسبانيا ومحاولتها في التكيف مع مجتمع جديد وثقافة المختلفة.

ي. تحول عازل إلى مخبر للشرطة الإسبانية:

بعد أن انتهت صلاحية إقامة عازل بعد أشهر، لم يعد قادرا على تجديدها لأنه لم يعد يمتلك عقد عمل فأدرك أنه أنزلق إلى دائرة المقيمين الغير الشرعيين فيتطور الأمر بعازل ليصبح مخبرا يعمل لصالح الشرطة الإسبانية ويتجسس على أفراد الجماعات الإسلامية المتطرفة في إسبانيا "تعاوننا؟ أتريد أن تعمل مخبرا لحسابنا ؟ بل الأحرى أن أزودهم بمعلومات حول بعض البؤر الإسلامية المتشددة"[1] وعندما يكشف أمره من طرف هذه الجماعات يقتل على يدهم "هكذا أضحى عازل مخبرا للشرطة الإسبانية، نجا بحياته ولكن باع روحه، ربما أعتبر قضية عادلة غير أن الحقيقة هي أنه لم يكن يبالي بصلاح السبيل الذي سلكه أو عدم صلاحه"[2].

البعد الاجتماعي: يكمن في استغلال الشرطة للفئات المهمشة، ويتعلق ذلك بالضغوطات التي يواجهها المهاجرون وقد تدفعهم الحاجة إلى قبول بأعمال خطيرة على حياتهم من أجل البقاء مثل ذلك عازل الذي تحول إلى متجسس على المسلمين المتطرفين من أجل .

ك. اكتشاف أمر عازل وقتله آخر بطريقة وحشية على يد المسلمين :

بعد أيام من عمل في المخابرات فيكتشف أمره ويقتل بطريقة وحشية على يد المسلمين، حيث يجدونه في المنزل مذبوح كالأضحية العيد" كان عازل ممدّا على الأرض، مذبوحا، ورأسه غارقا في نقحه دماء، ذبحه الإخوان كخروف العيد "[3].

1 الطاهر بن جلون، أن ترحل، ص 279 .

2 المصدر نفسه، ص 280 .

3 المصدر نفسه، ص 296.

البعد الاجتماعي: في هذا الحدث يكمن في العنف المجتمعي والاستغلال الذي تعرض إليه عازل، حيث قتل بطريقة وحشية على يد المسلمين المتطرفين، هذه الحالة التي وصل إليها عازل تبين لنا خطورة الهجرة وإلى ما تؤدي في النهاية.

انتهت أحداث هذه الرواية بنهاية تراجيدية ووحشية عكست واقع حول العنف والتطرف الإسلامي والتحديات التي يواجهها أولئك الذين يختار الهجرة بحثا عن مستقبل أفضل وهكذا يصور لنا بن جلون في روايته موت عازل رمزا لضحية الهجرة .

02- الشخصيات الرئيسية:

أ. عازل:

شخصية محورية ورئيسية، شاب يتصف بالكآبة والتعاسة فاقد الأمل مهووس بالهجرة غير الشرعية اسمه نفسه أي اسم على مسمى "عازل" قد يفهم على أنه رمز لما يعزل الإنسان عن حلمه وعن الحياة، ورغم كل ذلك إلا انه يحذر الآخرين من اتخاذ قرارات متهورة كما في بعض القراءات وما ورد في الرواية " فعلى الرغم من أن بعضهم يهجس مثله بالرحيل ذات يوم عن البلاد، فأنهم يعلمون، بعدما سمعوه ذات ليلة بصوت "توتيا" أنه لا ينبغي لهم أن يهجسوا بصور تشيع الألم في محيطهم.[1]" بذلك تعكس شخصيته واقع شباب المغاربة في رغبتهم بالرحيل و خوفهم من الموت.

البعد النفسي: يعيش عازل حالة قلق مستمرة ناتجة عن الشعور بالجدوى في مجتمعه شهادته الجامعية لا تساوي شيئا، وحالة انعدام الثقة بالنفس وعدم تمكنه في تحقيق ذاته تجعله يشعر بالاحتقار الذاتي، واعتقاده أن قيمته لا تقاس إلا إذا هاجر ونجح ماديا ما يولد له شعورا بالنقص واستعداد للتنازل عن كرامته من أجل القبول أو العيش خاصة ودخوله بعلاقة استغلالية مع ميكال إلا من أجل تحسين أوضاعه المادية والحصول على الأوراق الثبوتية والتي تضعه في مأزق نفسي حاد لأنه مجبر على ذلك.

1 الطاهر بن جلون، أن ترحل، ص 10.

ينظر عازل للحياة من زاوية قاتمة كل محاولاته تبدو عبثية وكل آماله تنهار، هذا الإحباط يصل إلى حافة الانهيار النفسي. " كيف السبيل إلى النجاة من هذا الوضع البائس، وما العمل للخلاص من هذا الذل أن يرحل"[1] بحيث عازل يتميز بالتعاسة والغموض والكبت وابتعاده عن الناس وعزلته المستمرة، فهو يعيش حالة من القلق تجاه مستقبله ومصيره وشعوره بالتوتر الدائم وعجزه عن تحقيق حياة كريمة، فشخصيته تمثل نموذجا نفسيا معقدا تعاني من التمزق بين الحلم والواقع بين الوطن والغربة بين الانتماء والرفض، فيشعر بأن الحلم الأوروبي وهما كبيرا فيواجه الفقر البطالة، والمعاملة القاسية من قبل الآخرين.

البعد الاجتماعي: يعاني عازل من البطالة والفقر ما يعكس فشل النظام الاجتماعي في توفير فرص حقيقية للشباب، و يبحث عن حياة أفضل وفرص متاحة مما يدل على غياب العدالة الاجتماعية، فهو مغترب داخل مجتمعه بسبب فقره ما جعله يغادر بلده و يواجه ظروف قاسية وواقع مر في بلاد الأجانب، واقعه الاجتماعي يعكس ما يتعلمه الشباب وما يقدمه المجتمع من فرص، دارسا للحقوق في بلد يجهل الحقوق لفقدان وظيفته بعد نهاية دراسته بسبب فقدان زبائنه، في حين أدرك أنه لن يجد عملا بعد وفقدانه للأمل في بلاده المغرب، ما يجعله يفكر دائما في الرحيل ويهوس به لدرجة يتخيل نفسه ضحية من ضحايا الهجرة غير الشرعية. ما تجسده الرواية في هذا المقطع " الرحيل عن البلد كان هاجسه الدائم، ضربا من الجنون يعتمل في رأسه ليل نهار، كيف السبيل إلى النجاة من هذا الوضع البائس[2]" لكن رغم كل هذا إلا أنه شجاع وقوي يعرف التصرف كان كل تفكيره دائما في الهجرة فهو مهووس بها لا يقدر للانشغال بالعلاقات الجدية الصادقة المليئة بالمشاعر والأحاسيس، وحاول عدة مرات بالهروب إلى اسبانيا لكن دائما تفشل محاولاته على الأغلب حيث يأخذونه ويعتقلونه عند وصوله إلى اسبانيا ويأخذونه إلى القنصلية المغربية حيث يطردونه و يرسلونه إلى بلده الأصل (طنجة).

1 الطاهر بن جلون، أن ترحل، ص 20 .

2 المصدر نفسه، ص 20 .

البعد الثقافي: يمثل عازل رمز واقع الشاب المغربي المثقف الحاصل على شهادة جامعية لكنه مهمش فيستوي مع الإنسان الأمي، والبعد الثقافي لشخصية عازل تمثل صراعا بين ثقافة مغربية تقليدية وبين الحداثة الأوروبية فهذا الصراع الثقافي يظهر في هويته الممزقة وشعوره بالاستلاب الثقافي ومحاولاته للاندماج في ثقافة أخرى، وهو مرآة لما يعانيه الشباب الذين يجدون أنفسهم عالقين بين ماضيهم وحاضرهم وأحلامهم المستقبلية، فشخصية عازل تمثل الجيل الذي يتشبث بالثقافة المغربية الأصلية والرفض للاندماج الكامل في الثقافة الغربية رغم رغبته في الرحيل وهذا نابع من إحساسه بأن الثقافة الغربية تهدد هويته الشخصية وتقاليده ومبادئه. " لقد درست الحقوق في بلد يجهل الحقوق متظاهرا بفرض احترام القوانين، هراء هنا عليك أن تحترم المتنفذين لا أكثر فيما تبقى[1]" يدل هذا المقطع أن عازل المتشبع بثقافة القانون والعدالة يعيش في بلد يغيب فيه القانون وهنا تكمن الفجوة الثقافية بين ما يلقن في الجامعات وما يماس في الواقع وبين الإنسان المثقف ومكانته في مجتمعه حيث تتحول الشهادات بين الرموز للعجز بدلا من التمكين.

السبب الذي دفعه للهجرة: عازل شاب مثقف حامل للشهادة الجامعية لكنه يعاني من صعوبة في الحصول على وظيفة عمل تضمن له حياة كريمة وتوفر له كل احتياجاته وتحقيق ذاته، ما دفعه شعور باليأس والإحباط وانعدام الأفق في بلده وأن لا شيء سيتغير ومهما اجتهد لن يستطيع تحسين واقعه، فهو محاصر في مجتمع لا يمنحه الفرص فيراوده حلم الهجرة إلى أوروبا كوسيلة للخلاص من ظروفه القاسية الفقر والبطالة ويريد تحقيق الذات والحرية، فعازل رمز لجيل كامل من الشباب المغاربة الذين يرون في الرحيل الحل الوحيد.

ب.سهام

1 الطاهر بن جلون، أن ترحل، ص 15 .

شخصية رئيسية تعد من الشخصيات النسائية البارزة، وتمثل صوتا أنثويا متمردا وسط مجتمع يهيمن عليه الذكور خاصة فيما يتعلق الأمر بالهجرة لأن رؤية المجتمع المغربية لفكرة هجرة المرأة عيب وعار فلا تستوي مع فكرة رحيل الرجل.

البعد النفسي: تمثل شخصية سهام في الرواية نموذجا للمرأة التي تعاني من صراعات نفسية متعددة نتيجة للهجرة والانتقال إلى مجتمع جديد فهي تمثل القلق الوجودي والاضطراب النفسي الذي يعيشه الشباب المهاجرين تبحث في عمقها عن الحرية والكرامة وأن تكون نفسها دون أن يملى عليها من تكون، وهذه الرغبة تجعلها تقرر الرحيل رغم المخاطر لتتحرر من واقعها الخانق " منذ ذلك الحين وهي تحاول بطرق أخرى ولكن دون أن تتخلى عن فكرة الرحيل وإلى أبعد الأماكن المحتملة كانت تشعر بالنفور مما يتردد حولها بشأن الفتيات اللواتي يحاولن التخلص من أوضاعهن المزرية عبر سعيهن وراء الهجرة."[1] يدل هذا المقطع أن سهام فتاة تتأرجح بين واقعها الاجتماعي القاسي وحلمها بالهروب وأنها تبحث عن معنى الحياة خارج القهر، الفقر، و من الحياة القاسية التي تلاحق المرأة في بيئتها، و نفسيتها تجسد شخصية معقدة و ممزقة داخليا تعاني من واقع قاسي مما يجعلها تشعر أن العالم من حولها مسدود الأفق لعيشها في بيئة تكبل المرأة ولا تتيح لها تحقيق ذاتها و طموحاتها و هذا يخلق داخلها شعورا بلا جدوى و رغم ذلك إلا أنها فتاة حالمة يسودها الأمل حتى و إن كان مستحيلا، كما أنها دائما تشعر بأنها غريبة حتى داخل وطنها، نفسيتها مضطربة تشعر بالضياع والعجز" لكن الأهم هو شعورها بالعجز التام، إذ اتضح لها أنها لا تملك الخبرة الكافية التي تؤهلها لرعاية طفل معوق"[2].

البعد الاجتماعي : شخصيتها تساهم في أبراز التوترات الاجتماعية في الرواية، خصوصا في علاقتها بالهجرة والحرية والهوية، تمثل بصوتها الداخلي معاناة المرأة في مجتمع مغلق لذلك تبحث عن الهروب والبحث عن حياة أفضل وعن الحرية الفردية، لتعرضها الاستغلال من قبل الرجال حتى الذين يشاركونها حلم الهجرة والرحيل وحتى الشرطة المغربية كما في المقطع " أما سهام، وهي أكبرهن سنا

1 الطاهر بن جلون، أن ترحل، ص 37 .

2المصدر نفسه، ص 160 .

وأنضجهن، فقد اعترفت بأنها حاولت، هي أيضا أن تعبر المسافة تسللا مع آخرين غير أن أفراد الحرس المدني الأسباني كانوا في انتظارهم فجرا عند الشاطئ.[1]" يدل هذا على أنها امرأة قوية ولا تستسلم بسهولة متمسكة بحلمها وهو الرحيل من هذا البلد إذ تطالب بطلب الحصول على تأشيرة كما في المقطع " كانت سهام تقف أمام القنصلية الأساسية لكي تتقدم بطلب الحصول على تأشيرة ملفها سليم و كامل.[2] " فهي تعاني من أزمة مالية والفقر وشعورها بالغربة داخل وطنها لذا تنجذب لفكرة الهجرة والرحيل ومغادرة البلد هي وفئة من جيلها رغم المخاطر والصعوبات والعقبات التي سيتعرضون لها نتيجة الخلاص من الفقر والبطالة والقيود الاجتماعية.

البعد الثقافي: تعكس شخصية سهام في البعد الثقافي نموذج المرأة التي تقصى قسرا وتدفع إلى أدوار هامشية داخل بنية ثقافية لا تتيح لها التمكين الفعلي، ففي المجتمعات التقليدية غالبا ما ينظر إلى تعليم المرأة كأمر ثانوي خاصة إذا تعلق الأمر بالفقر مع أن سهام كانت تدرس الأدب إلا أن العوز المادي حال دون إكمالها لدراستها ما يعكس هشاشة الدعم الثقافي لطموحات النساء. " لم تنه دراستها الجامعية في الأدب لضيق ذات اليد و حظيت في آخر الأمر بوظيفة سكرتيرة في مكتب محاماة.[3]" فاضطرارها للعمل كسكرتيرة في مكتب محاماة ليس نابعا من رغبة أو طموح بل من الحاجة ويظهر الفارق بين ما تريده وبين ما يفرضه الواقع عليها، وهذا يدل على أن سهام تمتلك قدرات وميولات ثقافية لكنها لم تستطع تحقيق طموحها بسبب الفقر ما يعكس واقع كثير من النساء اللواتي تحرم قدراتهن من النمو بسبب الظروف المادية وهذا ينتج الحرمان الثقافي، فنالت ما كانت تهوس به سنين تحقيق حلمها فتحصلت على تأشيرة لتغادر وطنها " حصلت سهام على تأشيرة دخول سياحية.[4]" لتؤدي عملها في خارج البلاد بتربية طفلة صغيرة معوقة فهذه الوظيفة لا تعبر عن رغبتها بل عن واقعها المفروض ثقافيا.

1 المصدر نفسه، ص 37 .

2 الطاهر بن جلون، أن ترحل، ص 90 .

3 المصدر نفسه، ص 92 .

4 المصدر نفسه، ص 93 .

ج. كنزة :

شخصية رئيسية ومحورية لها دورا مهما في الرواية، فهي أخت عازل، لم تكمل دراستها لتعمل راقصة، وكان الرقص من مواهبها وعملها الذي ترزق به بعض المال.

البعد النفسي: يتجلى البعد النفسي لشخصية كنزة في الرواية تمثل نموذج المرأة التي تعاني من حالة الاغتراب الوجودي و التمزق الداخلي مما أدها بها إلى التفكير في الهجرة إلى أسبانيا بزواجها من ميكال الذي يكبرها في العمر، وحيال وصولها إلى أسبانيا كانت نفسيتها قوية مندفعة إلى الحياة بكل حماسة ورغبتها بالانضمام إلى أي مجال عمل لكسب عيشها وكانت شغوفة ومولعة بالرقص الشرقي لكن لم تفلح في زواجها وباء بالفشل وغياب الدفء الأسري، فاندفعت إلى حب شاب تركي في أسبانيا لكن في نهاية الأمر اتضح أنه متزوجا في تركيا واستغلها من أجل مصلحته، فكشفت كل أكاذيبه ودخلت في صدمة نفسية وأصبحت مثل جثة هامدة وغابت كل ضحكاتها وأمانيها فانهارت وحاولت الانتحار "

خرج ميكال من عزلته المختارة وجاء للسهر على زوجته المريضة إثر محاولتها الانتحار. كان شحوب كنزة مثيرا للقلق بعينيها الكابيتين ونظراتها الساهية صدمة عاطفية خيبة أمل قاسية فجأة فقدت الرغبة في الحياة.[1]" ومد لها ميكال يد العون وأخذها إلى جلسات الطبيب النفسي، وإرسالها إلى بلدها حيث أعادت بناء نفسها وشخصيتها.

البعد الاجتماعي: ولكن المجتمع ينظر إلى الفتاة الراقصة بنظرة سوء. ما تجسده المقطع الأتي " أما كنزة التي لم تكمل دراستها فكانت تعمل في انتظار أيام أفضل وكان الرقص سلواها، فهي تعشق الرقص على أنغام الموسيقى الشرقية، الرقص موهبتها حالمة بإيجاد فارس أحلامها ما يدله المقطع " سوف ألتقي شريك حياتي و سوف يكون طويل القامة سخيا صالحا و مثيرا.[2]" يعجبها ميكال و تتزوج منه بشكل صوري ليخلصها من الحياة المزرية في بلادها المغرب هو الزواج الذي حقق لها أحلامها

1 الطاهر بن جلون، أن ترحل، ص 284 .

2 المصدر نفسه، ص 78 .

وتخلصها من الفقر والبؤس لتعيش بقية الحياة بسعادة فهي تبدو قوية وطموحة لها الرغبة في تحقيق نجاحها والبحث عن العمل " و الأهم من ذلك أنها عقدت العزم على تدبر أمرها بنفسها.[1]"

البعد الثقافي: تمثل شخصية كنزة صوت ثقافي أدبي مأزوم لصراع الثقافتين الشرقية والغربية، فثقافة الغرب تلجأ إليها حين تبحث عن الأمان والهوية ويتجلى ذلك في الذكريات والعلاقات الأسرية وأحيانا تحاول التحرر منها تعتبرها كعبء وقيد لها في الاندماج إذ تتقن كنزة اللغة الأسبانية التي فتحت لها المجال في التأقلم والاندماج " تأقلمت كنزة مع إقامتها الجديدة بسرعة نسبيا وقد يسر لها إتقانها الأسبانية مشقة التفتيش عن عمل.[2]" يدل هذا المقطع أن إتقانها للغة الأسبانية كأداة قوية في تجاوز أولى عقبات الهجرة وهي حاجز اللغة الذي غالبا ما يكون من أكبر أسباب العزلة والبطالة في بلد الأجانب، فتمكنت من الحصول على العمل بسرعة نسبية وهو ما ساعدها على الاستقلال المادي ومنحها شعورا بالجدوى والانتماء حتى لو كان جزئيا وتفيد هذه النقطة أن الثقافة ليست فقط موروثا بل أيضا أداة وقدرة على التكيف وكذلك إتقانها للرقص الشرقي كثقافة تشجعها للتقدم والتطور.

03- الشخصيات الثانوية

أ. ميكال:

شخصية رئيسية تلعب دورا مهما و رئيسيا في الرواية، وهو الرجل الذي ساعد عازل حينما كان مصابا مرميا على الرصيف هو وسائقه أخذا به إلى منزله، رجلا في غاية من الأناقة وحسن اللباس وذو ذوق رفيع عاشقا للورود، يقضي وقتا طويلا في تنسيقها من حيث الألوان.

البعد النفسي: يعاني ميكال من الاضطراب خاصة اتجاه والديه حيث نشأت له عقدة نفسية في صغره بسبب معاملتهما القاسية جدا ومنعه بتاتا من الخروج من البيت، فتحولت مشاعره اتجاههما بدلا من الحب والحنان إلى الخوف والهروب ما جعله يتيه في حياته ما جعله يعاني من الاغتراب الوجودي،

1 المصدر نفسه، ص 166 .

2 الطاهر بن جلون، أن ترحل، ص 166 .

فهو يعيش في وطن لا يشعر بالانتماء الكامل له ويجد نفسه دائما على هامش المجتمع سواء في المغرب أو في أوروبا، إذ يبدو في كثير من الأحيان تائها عاجزا عن تحديد مسار واضح لحياته ويغلب عليه التفكير السلبي والمزاج المتقلب لأنه يعيش ألم الانفصال " كان ذلك خلال الفترة التي اعتاد فيها الهروب من دارة والديه متسكعا بين حانات برشلونة آملا في لقاء غرامي يعتقه من عزلته وطبعه الكئيب.[1]" يدل هذا المقطع أن ميكال يستخدم الهروب من منزل والديه كأداة لتجنب مواجهة مشاعره الداخلية كالخوف و الفراغ والخيبة فهي محاولة يائسة لملء الفراغ الوجودي حيث يبحث عن علاقة غرامية بدافع الخلاص .

البعد الاجتماعي: أبدى نجاحا في مباراة الفنون الجميلة، تحصل على جائزة حيث أخرجته من بلاد اسبانيا إلى النيويورك، يعد من المدعوين المميزين الذي يبيح لهم الدخول إلى القصر الملكي، صديقا للمغرب وعاشقها ويدافع عنها، محبا للسهرات المنتوجة بالمشاهير، ميكال ذو شهوة جنسية اتجاه الرجال والنساء يعشق بشرة المغاربة الكامدة من عامة الشعب وخصوصا الأرياف حيث لا يجيدون القراءة والكتابة، فيعيدهم بأن يألف لهم روايات على مسامعه تحمل أسمائهم، ما نجده في مقطع الرواية " يقول لا حدهم أسر على مسمعي تاريخ حياتك لكي أصوغه رواية.

وسيكون اسمك مطبوعا على الغلاف طبعا لن تتمكن من قراءته ولكن ما الفرق؟ أنت مؤلف مثلي، سوى أن الناس يقولون انك مؤلف أمتي.[2] " فقد جمعته علاقة جنسية مع سائقه خالد أيضا، نشأت له هذه الرغبة في صغره مصاب بعقدة نفسية بسبب منع أبواه له بالخروج ومعاملتهما بقسوة شديدة، فبدأت قصته مع الحب والجنس وأصبح أسيرا له، ميكال يساعد الرجال الذين يضاجعهم في الرحيل إلى اسبانيا ثم يتزوجون هناك عجائز أوروبيات، ساعد ميكال عازل عند تعرضه للاغتصاب من قبل الشرطة إذ يقدم له يد العون وأخذه لبيته لإتمام علاجه في حين يستغل عازل البائس ليصبح عشيقه و لكن رغم كل هذا إلا أن ميكال راغبا في دخول الإسلام والاهتمام بالديانة والثقافة

1 الطاهر بن جلون، أن ترحل، ص 52 .

2 المصدر نفسه، ص 50 .

الإسلامية، له فضول لمعرفته حق المعرفة مكتشفا أن الإسلام مختلف عن المسيحية إلا في بعض الجوانب " كان يهتم بكل ما يتصل بهذه الديانة[1]." فأصبح اسمه منير" اسمك منير وتحب النساء، وتظهر في مظهر رجل، رجل بحق، كله رجولة لا لبس فيه.[2]"

البعد الثقافي: يتجلى البعد الثقافي لشخصية ميكال أنه رجلا مثقفا مستنيرا و واعيا، كما في مقطع الرواية " أما باقي فصول السنة فيقضيها في برشلونة وفي أسفار حول العالم لتنظيم معارضه." يدل هذا على أن ميكال يعيش مرفها ومتنقلا يجول العالم بحرية مما يعكس نجاحه المهني وانتماءه إلى طبقة ثقافية عالمية والانشغال بالفن والثقافة أي هو ابن ثقافات متعددة، وأنه مثقف منفتح على العالم لا يعيش ضمن حدود ثقافية محلية فقط بل يشارك في المشهد الثقافي العالمي من خلال تنظيم العروض والتنقل بين البلدان. " لكني حظيت بفرصة مذهلة أتاحت لي مغادرة برشلونة إلى نيويورك بعد نجاحي في مباراة الدخول إلى معهد الفنون الجميلة ." يجسد ميكال صورة المثقف المنفتح على العالم الذي لم تمنعه هجرته من التمسك بهويته الأصلية بل جعلته أكثر وعيا بدوره كسفير ثقافي لوطنه، فهو ليس مثقفا منغلقا أو منعزلا بل فنان ينتقل بين برشلونة وعواصم العالم.

ب.العافية

شخصية ثانوية لكن تلعب دورا مهما في الرواية بحيث العافية هو مهرب محترف ينقل المهاجرين غير النظاميين عبر قوارب متهالكة مستفيدا من يأسهم ورغبتهم في الهروب من واقعهم البائس، وهو يمثل شخصية استغلالية ما يجسده هذا المقطع " انه الزعيم، الرهيب، القوي، الصموت بلا قلب وكانوا يلقبونه العافية، اشتهر بكونه معبرا أي المهرب الذي يكتسب في زوارق مهاجرين غير شرعيين عازمين على عبور المحيط.[3]" فلا يقتصر نشاط العافية على تهريب البشر فقط بل يتاجر بأحلامهم بطمعهم بالوصول إلى الفردوس الأوروبي، فهو يعيش عيشة الأغنياء في قصره مزدهر، ويقوم بتهريب الكيف

1 الطاهر بن جلون، أن ترحل، ص 144 .

2 المصدر نفسه، ص 146 .

3 المصدر نفسه، ص 12/ 13 .

والمخدرات فهو شخص" اشتهر بكونه سيد أساليب الفساد، خبيرا بطباع الناس جميعا، عليما بنقاط ضعفهم و احتياجاتهم، بارعا في الاحتيال[1]" رغم أنه بدون مستوى تعليمي لم ينل من العلم سوى قراءة الأرقام إلا أنه يعرف طبائع الناس ويجلبهم إليه حسب حاجاتهم وأمانيهم جاء في مقطع الرواية " ولم يتمكن عازل من استراد ماله، كان يعلم جيدا أنه بمفرده لن يقدر على مجابهة هذا الغول المرهوب الجانب، والمحبوب، أو الأحرى المحمي من قبل المتنعمين بسخائه.[2]"

ج. للاّ زُهرة:

واحدة من الشخصيات الرئيسية كذلك والتي تمثل المرأة المغربية التقليدية المتمسكة بقيمها وأصولها، فهي والدة عازل، الأم الصبورة التي تتحمل الكثير من الصعاب، وتعيش حالة من القلق المستمر على أبنائها وعلى عازل فهي تخشى من أن يفكر ثانية أن يهاجر بطريقة غير شرعية، ومن أن يصاحب صاحب السوء والخطايا والذنوب والمعاصي، ما تجسده المقاطع الآتية في الرواية " كانت للاّ زُهرة، والدة عازل، قلقة مشغولة البال. فمنذ أن دأب ابنها على العودة إلى البيت في ساعة متأخرة من الليل.[3]" وكذلك المقطع الآتي "وتخشى أن يكرر عازل محاولته اجتياز المضيق بطريقة غير شرعية."[4] فهي امرأة قوية وصبورة فأفعالها تعكس صمودها وقوتها في مواجهة صعوبات حياتها اليومية وأداء واجبها نحو أسرتها لتعينهم وتلبي احتياجاتهم،فهي تعمل في التهريب وهذا ما تجسده المقطع" أي ما تستطيع إخفاءه تحت ملابسها.[5]" ابنها عازل أملها الكبير في حياتها متخيلة له بمرتبة عالية ومتفوق بحياته ذو منصب شغل عالي كما كان في الرواية " كانت للاّ زُهرة تعلق على عازل أمالها الكبار، وتتخيله

1 الطاهر بن جلون، أن ترحل، ص 17.

2 المصدر نفسه، ص 18.

3 المصدر نفسه، ص 69.

4 المصدر نفسه، ص 69 .

5 المصدر نفسه، ص 71 .

طبيبا أو موظفا كبيرا في الدولة، وتتمنى أن يتزوج فتاة من عائلة كريمة"[1] كانت كل ما يشغل بالها أولادها ابنتها كنزة كذلك مستقبل ابنها عازل الذي حيرها .

د. نور الدين:

شخصية ثانوية وهو رفيق عازل وابن عمه، يعتبره أخا له ويريد تزويجه من أخته وهو من ضحايا الهجرة غير الشرعية والهروب من البلد وغرقه في البحر أثناء عبوره للمضيق قصد الذهاب إلى أسبانيا بحثا عن حياة ومستقبل أفضل مما يدفعه للمخاطرة بحياته وركوب المجهول، فشخصيته ترمز لجيل ضائع وبائس، فنور الدين ليس مجرد فرد بل رمز لفئة واسعة من الشباب المغاربة الذين فقدوا الثقة في الوطن ويحملون بالفردوس الأوروبي كما يتجلى في الرواية " كانت جثة نور الدين لا تزال سالمة، ولكن منتفخة."[2] ومقطع " لم ينس عازل شيئا من ذلك المشهد ولا من الروائح الخانقة المنبعثة من تلك الأجساد التي كانت، لأيام قليلة خلت، زاخرة بالشوق إلى حياة أفضل، ولن ينسى ما بقي حيا نور الدين ولا كفة اليمنى القابضة على مفتاح."[3] نور الدين يظل عبرة للشباب المهوسين بالرحيل بطرق غير قانونية وكذلك رمز للواقع المر الذي يسود في بلاد المغرب

ه. محمد العربي :

شخصية ثانوية وهو رفيق عازل الذي اختفى فتمثل شخصيته جيل الأبناء الذين يبحثون عن حياة أفضل، شابا مشاكسا وكافرا في عين أبيه ويعتبر مأساة لأهله، وهو شاب مغربي يعاني من التهميش والفقر في بلده له طموحات كبيرة في تحسين حياته، ويؤمن أن الخلاص من معاناته يكمن في الهجرة إلى أوروبا " عاودته الأسئلة المحيرة بشأن اختفاء محمد العربي."[4] فمحمد العربي يمثل الضمير الشعبي أو صوت الفئة المستضعفة التي تعاني من الواقع السياسي والاجتماعي، فهو يعيش تمزقا داخليا بين حب

1 الطاهر بن جلون، أن ترحل، ص 72 .
2 المصدر نفسه، ص 26 .
3 المصدر نفسه، ص 27 .
4 المصدر نفسه، ص 29 .

الوطن والغضب منه وبين الرغبة في الهروب والخوف من المجهول كما في المقطع الآتي " كان محمد العربي فتى قلقا، مشاكسا غير أنه كان يائسا بالدرجة الأولى، سبق له أن اعتقل خلال حوادث بني مكادة " أما محمد العربي فقد حصل على تأشيراته بسرية تامة .

و. الحاج:

يعتبر الحاج من الشخصيات الثانوية في الرواية، والتي تمثل جانبا مهما في المجتمع المغربي التقليدي المحافظ وتساهم في إبراز التناقضات التي يعيشها الجيل الجديد في صراعهم مع واقعهم وطموحاتهم ورغبتهم الشديدة في الرحيل ومساعدتهم، كما فعل مع عازل ما ورد في مقطع الرواية " كانت العلاقة التي تربط الحاج بعازل علاقة غريبة ومستهجنة لم يكونا تربين ولا اهتماماتهما واحدة، غير أن الحاج كان مفتون بهذا الشاب الذي يعرف قصته جيدا ويحاول أن يساعده."[1] والحاج من محبي الحياة كونه غنيا وثريا من الطبقة الغنية يملك الكثير من المال، وتفكيره يقتصر على اللهو والاستمتاع والسهرات والحفلات، خالي من المسؤولية لعدم رزقه بالأولاد مقررا التوقف عن العمل ليشتغل وقته في الراحة والاحتفالات.

ز. مليكة:

شخصية ثانوية في الرواية، ومع ذلك لها دور مهم إذ ترمز شخصيتها لمعاناة الشباب المغاربة واضطرارهم للهجرة والمغادرة، فهي فتاة صغيرة بريئة تعاني من الواقع المغاربي المر والأليم، ما يجعلها تفكر في المغادرة والرحيل من البلد المظلم القاسي الذي لم يترك أحدا حتى الأطفال والصغار.هذا ما تدل عليه الرواية "ما خططك للمستقبل؟ الرحيل"[2]ومقطع "عندما أرحل سوف أحظى بمهنة"[3] واضح في هذه فهي تعاني من القهر والحزن ونفسيتها مضطربة وكئيبة وفي نفس الوقت تبحث عن الملجأ

1 الطاهر بن جلون، أن ترحل، ص 33 .

2المصدر نفسه، ص 113 .

3 المصدر نفسه، ص 113 .

نخلاص من حالتها المزرية ألا وهو الرحيل والهروب من واقعها المر"[1] رغم طموح مليكة ورغبتها الشديدة في الرحيل في سن البكر إلا أنها تراجعت وتخلت عن حلمها الهجرة والرحيل لرؤيتها للجثث على سطح المياه متخيلة نفسها الضحية " تحلم. أحصتها متخيلة نفسها إحدى ضحايا هذه المأساة"[2].

ح. سمية:

شخصية ثانوية في الرواية، وهي فتاة شابة تحاول بناء حياتها الخاصة بمعزل عن بلادها وظلمه إلا أنها شخصية قوية ومتمردة على القيود الاجتماعية والثقافية التي يفرضها عليها هذا البلاد القاسي المظلم والذي ترفضه وتغادره بالمرة باحثة في مكانتها بمجتمع جديد وبلاد جديد (اسبانيا) مواجهة أحكاما قاسية من المحيطين بها وتعرضها للخيانة والخدع نكيانة زوجها لها ووعوده الخالية الكاذبة ما تجسده الرواية " سمية وهي فتاة من وجدة إلى اسبانيا مع زوجها الذي هجرها ولم يترك لها فلسا واحد"[3]. ومقطع " وعوض أن تقرر العودة إلى المغرب لبث في اسبانيا مفلسة منقادة لحياة الفسق التي لا تتطلب جهدا.[4]" نفهم من هذا المقطع الأخير أن سمية رافضة بلاد الذل والقاسي الذي لا أمل فيه ولا الشعور بالأمان فتفضل البقاء في اسبانيا بدون مال ولا العودة إلى المغرب، إذ أنها عاشقة عازل " عندما رآها عازل للمرة الأولى أدرك سره أنّها ستغدو عشيقته"[5].

ط. موحا

شخصية ثانوية تحمل أبعاد اجتماعية وثقافية وهو رجل كبير في السن، عجوز مجنون، بسيط من أصول ريفية " موحا العجوز موحا، موحا المجنون، موحا الحكيم.[6]" ليس مهتما بمسائل التهريب أي تهريب السلع أو غيرها ما يدله المقطع " غير أن السوق لم يكن محط اهتمام موحا في كاساباراطا بل

1 الطاهر بن جلون، أن ترحل ص 116 .
2 المصدر نفسه، ص 140 .
3 المصدر نفسه، ص 121 .
4المصدر نفسه، ص 122 .
5المصدر نفسه، ص 122 .
6 المصدر نفسه، ص 170 .

الرجال الذين يحتسون الشاي ويدخنون يبيّات الكيف"[1] وكان موحا معارضا للهجرة غير الشرعية نظرا لمخاطرها إما الموت بالغرق في مياه المضيق، إما الموت على يد شرطة الحدود بإطلاق النار بالطلقات العشوائية ما يجسده هذا مقطع " الرحيل، هذا هو الحل الذي تفتقت عنه أذهانكم . أنظروا إلى البحر: انه بهي بثوبه البراق، وعطوره اللطيفة، غير أن البحر يبتلعكم ثم يلفظكم أشلاء"[2] .

ي. إسماعيل:

شخصية ثانوية في الرواية، وهو شاب أعزب مدعو إلى حفل ميكال والرجل الذي تعرفت عليه كنزة هناك أو عرفهم ميكال بعضهم البعض ولم تجده كنزة مناسبا لها ولم يعجبها لذا تتكلم معه باستفزاز" اقترب منها ميكال وأمسك بذراعها وعرفها بإسماعيل وهو الأعزب غير المثلي الوحيد في السهرة."[3] ومقطع " ورأت في ذلك علامة على أن هذا الرجل ليس هو رجلها المنشود"[4]."

ك. عبد السلام :

شخصية ثانوية في الرواية، فهو شاب مغربي فقير يعيش في مجتمع هامشي يعاني مما يعانيه شباب المغاربة الفقر، البطالة، القسوة، انعدام الأفق ممثل شريحة واسعة من الشباب المغربي الذين لا يرون في بلدهم فرصة للحياة الكريمة متعلقون بفكرة الهجرة إلى أوروبا لكن رغم كل هذا إلا أن عبد السلام رافضا للفكرة هذه متخيلا نفسه ضحية المياه منذ بالذنب بعد دعم أخيه نور الدين بالهجرة وغرقه بالنهاية، غارقا عبد السلام في الحزن والأسى وشعوره بالذنب والندم الشديد ما تجسده الرواية في هذا المقطع " منذ فقده أخاه نور الدين، تخلى عن كل مشاريعه وخططه ولشدة إحساسه بالذنب لا لحاجه عليه بأن يجرب حظه على زورق الفجيعة ذاك[5]. وعبد السلام بناءا شغوف بعمله فني

1 الطاهر بن جلون، أن ترحل ص ، 170 .

2 لمصدر نفسه، ص 174 .

3 المصدر نفسه، ص 78 .

4 المصدر نفسه، ص 78 .

5 الطاهر بن جلون، أن ترحل ص 152 .

بارع يعشق البناء المتقن ويكره التأخير أو العمل غير المحترف، له لمسات مميزة حتى الأوروبيون استعانوا به لترميم منازلهم، ما زاده فخرا وثقة بنفسه ما ورد في مقطع الرواية " كان عبد السلام بناءا، يعشق البناء، رصف الأحجار جنب أو فوق بعضها والتباهي في سره أن يديه هاتين صيرتها بنيانا كان حرفيا فنانا في مجاله"[1]. بعض الأوروبيين استعانوا به لترميم ملكياتهم، ما أشعره بالزهو وجعله أكثر تطلبا من نفسه ومن عمّاله"[2]. فشخصيته معارضة للهجرة خاصة للمهاجرين غير النظاميين، فهو متألم بداخله من فقدانه لأخيه ويعاني من حزن دائم ما جعله يعارض الهجرة بالعبور والهروب " رجل فقد أخاه و يعاني من فقده ليل نهار[3]".

ل. عباس:

شخصية ثانوية في الرواية، شابا ومراهقا، يتعاطى المخدرات ما سبب في احمرار عينيه والعزم الذي بداخله لتصفية الحسابات مع بلده وشعوره بالفخر حين عبوره الحدود الاسبانية، وتعرضه للاعتقال آنذاك ما تجسده المقطع " كان لسان عباس لا يكل عن تعداد الحسابات التي يزعم أنه يصفيها مع هذا البلد قصير القامة كامد البشرة يقظ العينين وأن شابهما احمرار في معظم الأحيان بسبب ما صنوف المخدر"[4]. يتصف بعدم الاستسلام لطموحاته وما كان يرغب الوصول إليه " أقسمت في سري أن أدخل بلدهم من دون أوراق خلسة كسوبرمان ليس أنني سأقفز بالمظلة و إنما دبرت خطة"[5]. رغم قوته هذه و عزمه هذا غير أنه متفاءل ومتحمس وله الرغبة في العيش، وهو رجلا صلبا لا يظهر ضعفه أمام أحد، فهو يجد التظاهر بسبب قدرته على التخفي والتلاعب غير أنه يعيش حالة من الشوق وافتقاد أمه " أنا بطل جميع الأوزان في الإقامة غير الشرعية، أستتر بحلكة الليل كي

1 المصدر نفسه، ص 153 .

2 المصدر نفسه، ص 153 .

3 المصدر نفسه، ص 155 .

4 المصدر نفسه، ص 181 .

5 المصدر نفسه، 182 .

لا يروني، وبرمدة الفجر والضباب لكي أعبر خلسة، أجتنب الأماكن المقفرة، وأبقى طوال الوقت على أهبة العدو[1].

م. ناظم:

شخصية ثانوية، شاب مغربي يعيش إحساسا عميقا بالإحباط والخيبة في وطنه، سمي بهذا الاسم على الشاعر التركي ناظم حكمت إحياء له ذو قامة طويلة وبشرة سمراء و شوارب ، يعمل كنادل في مطعم (كباب) ملك لقريب له، هاجر بلاده المغرب لظروف عائلية و سياسية، شخصية متشائمة ونفسية مضطربة وقلقة ، بلاده الأناظول، عاشقا لكنزة أخت عازل فهو أنيق يخطف الأنظار لشدة أناقته كما في المقطع " كان ناظم شابا أنيقا وجذابا" [2] لكنه مقيم بشكل غير قانوني متأمل بتحسين وضعه والخلاص من وضعه البائس عبر عشيقته كنزة المقيمة بشكل شرعي. ما يدله المقطع "فقد كان يأمل، في قرار نفسه، في الإفادة من وضع كنزة القانوني لتسوية وضعه هو غير القانوني ."[3] فهو متشائم دائما وقلقا " شعوره الدائم بالقلق "[4]. ولم تفارقه رغبته الشديدة في الحصول على الأوراق القانونية " كم يود أن يكون طليقا، أن تحصل على أوراق ثبوتية قانونية، وأن يجني بعض المال"[5]. يفتقد والديه كثيرا، رغم أن ناظم شخص متشائم جدا إلا انه متفائل في بعض الأحيان كحسن الظن بلقاء والديه .

ن. غابريال:

شخصية ثانوية في الرواية، هو شاب وطبيب فرنسي من أصدقاء ميكال، اسمه الكامل غابريال لومرفايو ينتمي إلى أسرة بيبي نوار مدينة مست غانم الجزائر، فهو رجل ذكي ومثقف ذو موهبة

1 الطاهر بن جلون، أن ترحل ص 1871

2المصدر نفسه، ص 201 .

3المصدر نفسه، ص 204 .

4المصدر نفسه، ص 231 .

5المصدر نفسه ، ص231 .

عظيمة، فهو لطيف يحب مساعدة الناس ما تدل عليه الرواية " رجل مثقف ظريف، ذو نزعة إنسانية عميقة، متفان في خدمة الناس[1].

س. فلوبير:

شخصية ثانوية في الرواية، فهو رجل كاميروني يعيش في تولوز عابر سبيل في الرواية ليبحث عن ابن عمه أندري مارين في برشلونة، عامل لحساب منظمة غير حكومية فرنسية ألمانية وهو رجل لطيف يرشد وينصح الغير ما تدله الرواية في المقطع " أنا أعمل لحساب منظمة غير حكومية فرنسية ألمانية، وكنت في تولوز عندما تلقيت اتصالا من العائلة تطلب إلى البحث عنه"[2] طلب منه لينقذه قبل فوات الأوان، لا يدعم الآخرين بالهجرة غير الشرعية ينصح بالعمل وترك الآفات الاجتماعية كالتدخين وحب الوطن ومتمسكا بتقاليده ودعم وطنه صادق الوعد ذو أخلاق حسنة ما تدله الرواية " الحقيقة أننا في بلادنا نحسن وفادة الأجانب وإذا شئت بإمكانك أن تبيع السجاد في شمال البلاد "[3] ومقطع " فان الكامرون ترحب بك وما أقوله ليس كلام مجاملة ولا تنسى أننا بلد الكلمة العهد بلد الكلمة المصونة"[4].

1الطاهر بن جلون أن ترحل، ص 231 .

2المصدر نفسه، ص 250 .

3المصدر نفسه، ص 261 .

4المصدر نفسه، ص 261 .

المبحث الثالث : الزمان والمكان في الرواية

يعد الزمن في الرواية أحد العناصر الأساسية التي تساهم في بناء العالم الروائي و تطور الأحداث والعمود الفقري الذي يشد أجزائها لتكون مترابطة فيما بينها، ففي الرواية يعكس التمزق بين الحاضر القاسي والماضي الثقيل والأمل في مستقبل أفضل والخوف من المجهول أما المكان أحد العناصر الأساسية في البناء الفني، ويمثل الإطار الذي تجري فيه الأحداث وتتحرك فيه الشخصيات فهو لا يقتصر دوره على تحديد الموقع الجغرافي فقط بل يحمل دلالات رمزية ونفسية وثقافية تعزز من فهم القارئ للعمل الأدبي.

01- الزمن:

أ. الزمن الواقعي:

يعكس الزمن الواقعي في الرواية الذي كان في أواخر التسعينات الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في وطن الأم (المغرب) والثقافي في الوطن الأوروبي (اسبانيا) خصوصا الشباب المغاربة الذين يعانون الفقر، البطالة، غياب الأفق والفساد مما يدفع الشخصيات للتفكير في الهجرة غير الشرعية، فيستخدم "الطاهر بن جلون" الزمن الواقعي كأداة لكشف الواقع المغربي في زمن التقهقر حيث تعاني الطبقات الفقيرة من التهميش إذ هو زمن لا يحمل أملا للشباب المغاربة سوى الرحيل الذي اعتبروه النجاة والخلاص.

يحمل العنوان نفسه " أن ترحل" دلالة زمنية فهو فعل مستمر غير مكتمل بلا نهاية واضحة، فعازل يرحل ولكن عند وصوله للبلد الحلم (اسبانيا) لم يجد الحياة التي يحلم بها عندما كان في المغرب ولا الفرص التي ستمنحه القوة والشجاعة ليكمل طريقه، ما جعله يشعر بالنقص والضياع ومستقبل مجهول لان الزمن الأوروبي الذي تخيله لم يتحقق. " أن يرحل لكي ينجو بنفسه، حتى لو كانت المخاطرة بها هي السبيل إلى ذلك يطيل التفكير في ما جرى ولا يفهم لما آلت الأمور إلى ما آلت إليه ثم سرعان

ما اشتد عليه هاجسه هذا حتى صار أشبه باللعنة التي تطارده"[1] هذا المقطع يعكس واقع ووضعية الشباب المغربي في نهاية التسعينات حيث أصبح الانتظار واليأس سمة المرحلة وهو ما يجعل فكرة الرحيل خيارا قهريا وحتميا، فمقطع " فقد اعترفت بأنها حاولت هي أيضا أن تعبر المسافة تسللا مع آخرين، غير أن أفراد الحرس المدني الأسباني كانوا في انتظارهم فجرا عند الشاطئ وكمنوا لهم مموهين كأنهم في زمن حرب"[2] يشير إلى ظاهرة الهجرة السرية غير الشرعية المنتشرة في تلك المرحلة والتي تحولت إلى مخرج جماعي من واقع خانق، "وعندئذ أدرك عازل أن مستقبله بات على المحك وأنه لم يجد عملا من دون واسطة أمثاله كانوا كثر"[3] مما يعكس خيبة الأمل التي أصابت حاملي الشهادات العليا في تلك الحقبة حين أصبح التعليم لا يضمن مستقبلا.

ب.الزمن النفسي:

يتجلى الزمن النفسي في الرواية من خلال الشخصيات وصراعاتها الداخلية سواء قبل الرحيل أو بعده، يتقاطع مع الذكريات والآمال الخيبات ويظهر تمزق الذات بين الوطن والحلم الأوروبي، فهو زمن داخلي مشحون بالقلق، الحلم، التردد والإحساس بالضياع، وظفه بن جلون كعنصر وجودي لأن الإنسان ليس فقط كائنا يعيش الزمن بل يتألم من ثقله وعبئه، كذلك للتعبير عن زمن القلق الوجودي وليس زمن الأحداث فقط فهو لا يتعلق بساعة أو يوم بل بإحساس داخلي " التقى الهر في طريقه، فبادره بالتحية كما لو أنه كائن بشري، أنت أيضا تود أن ترحل أنت أيضا أصابتك عدوى الرحيل، والسبب معلوم تشعر بضيق هنا."[4]

يظهر هذا المقطع كيف يتحول الزمن النفسي لعازل إلى حالة من الأرق والقلق المستمر، حيث تتداخل الأفكار والمشاعر لخلق شعورا بالضياع والتشتت. ومقطع " كانت الفتيات يصغين، ومنهن

1الطاهر بن جلون، أن ترحل، ص 20

2المصدر نفسه، ص 37 .

3المصدر نفسه، ص 19 .

4المصدر نفسه، ص 46 .

من يذرفن الدموع تأثرا فجميعهن يتحدرن من أسر لم تخلو واحدة منها من أقارب سعوا هم أيضا وراء الرحيل." يشير" بن جلون" إلى الشعور الجمعي بالرحيل والبحث عن الذات في أماكن بعيدة وخارج البلد مما يعكس الزمن النفسي المتعلق بالضياع والتهميش والبحث عن مستقبل أفضل، " أجل إلى أسبانيا، فرنسا، منذ الآن أقطنها في أحلامي.[1]" أما في هذا المقطع يشير إلى الرغبة الشديدة لفتاة صغيرة "مليكة" بالرحيل رغم صغر سنها مما يعكس الزمن النفسي المتعلق بالرغبة الشديدة في الرحيل من البلد القاسي الظالم ما جعلها أن تشعر أن أول أحلامها وخططها للمستقبل الرحيل عن البلد، فهذه الشواهد تظهر كيف يجسد " الطاهر بن جلون" الزمن النفسي للشخصيات من خلال تصوير المشاعر الداخلية القلق والحنين والضياع الذي ينتابها. مما يضفي عمقا على شخصية عازل ويبرز الصراع الداخلي الذي يعيشه، فلا نراه فقط في اللحظة بل في مسيرته الزمنية.

ج. الزمن التذكري/ الاسترجاعي:

يستخدم " بن جلون" تقنية الاسترجاع لاستحضار ماضي الشخصيات خاصة ماضي شخصية عازل في المغرب قبل الهجرة والمعاناة التي عاشها آنذاك، فالرواية تعتمد كثيرا على تقنية الاسترجاع الزمني لكشف الماضي المؤلم لعازل وفقر هو قسوته وخيبات الأمل والفقر الذي دفعه للحلم بالهجرة، فالعودة إلى الماضي تبين كيف تشكلت نظرته للعالم ولماذا كان الهروب هو خياره الوحيد. " كان من الممكن أن أتبع مسارا عاديا، أن أجد عملا بعد إنهاء دراستي، عملا محترما، يوفر لي مكانة في المجتمع، ويشكل ضمانا ويحثني على السير قدما. كان من الممكن أن أنجز أمورا رائعة، أن أكون مستقيما، أن أحافظ على وهمي وأبقى الوقت نفسه على أرض الواقع أن أكون فاعلا ومفيدا ولكن لا حطمت وليست الوحيد كثيرون مثلي"[2] يجسد هذا المقطع استرجاع شريط حياة عازل بدءا من معاناته في المغرب قسا وته وكشف دوافع الهجرة وما الذي دفع عازل للرحيل من بلده، فالاسترجاع يستخدم لتصوير واقع الفساد، غياب العدالة والقهر الطبقي في المغرب وهي عوامل رئيسية تبرز اندفاع

.1الطاهر بن جلون، أن ترحل، ص 114

المصدر نفسه، ص 117 .2

الشباب المغاربة للهجرة مثل عازل، وكيف كان ينظر للحياة في ماضيه وما جعله مهوس بالهروب والرحيل. فالاسترجاع لا يستعمل فقط كأداة إخبارية بل كوسيلة لفهم أزمة الهوية والحنين الممزوج بالمرارة، ويكشف أن الشخصيات حتى وإن غادرت المكان، فإنها تبقى أسيرة زمنها الماضي عاجزة عن القطع معه تماما.

02- المكان:

أ. الأماكن المفتوحة:

طنجة: من الأماكن المفتوحة وهي مدينة مغربية الواقعة على الحافة بين المحيط الأطلسي والبحر المتوسط، تعتبر طنجة في الرواية كنقطة انطلاق نحو الحلم الأوروبي، كما في المقطع الآتي "في طنجة يتحول مقهى الحافة خلال فصل الشتاء إلى مرصد للأحلام وتبعاتها.[1]" وتمثل الأمل في الخلاص عن طريق الهجرة السرية، لكنها أيضا فضاء للانتظار والتردد والخيبة فهي مدينة تختزل حالة من الضياع بين البقاء في وطن لا يمنح شيئا والمخاطرة في العبور لا يعرف إن كان سيؤدي إلى حياة أم موت" اعتقلت سهام و استجوبت ورحلت مجددا إلى طنجة حيث تعرضت لضرب مبرح من قبل الشرطة المغربية.[2]" فهي مرآة لصراع داخلي الذي تعيشه الشخصيات المقيمة في المغرب خاصة وغالبا ما تكون مشحونة بالقلق والاضطراب النفسي، طنجة مدينة الحدود والانتظار والحلم المؤجل وربما المستحيل وهي رمز للحدود الفاصلة بين الحلم والواقع، بين الرغبة في الرحيل والحنين إلى الوطن من خلال شخصياتها كعازل وكنزة وسهام يجسدون تمزقا للشباب المغاربة بين حبهم لوطنهم ورغبتهم في رحيله ومغادرته، عازل الذي يقضي وقته في مقاهي طنجة يفكر ويحلم بالهجرة لتغيير وضعه البائس لقربها من السواحل الأسبانية ظنا بهم أن الوصول إليها أمر سهل ومتاح بالعبور عبر مضيق جبل طارق.

1الطاهر بن جلون، أن ترحل، ص 07 .

2المصدر نفسه ص 37 .

الصحراء: من الأماكن المفتوحة التي تلعب دورا رمزيا وجغرافيا، إذ تشكل خلفية للعزلة والتيه والضياع لتناول الرواية قضايا الهجرة والاغتراب والانكسار الإنساني في مواجهة القسوة الاجتماعية والسياسية، فالصحراء ترمز إلى الفراغ الوجودي النفسي الذي يعيشه المهاجرون لقسوة أوضاعهم وظروفهم "راكضا في الصحراء وسرعان ما طغت هذه الصورة على مخيلته.[1]" كما أن الصحراء قاسية بطبيعتها فإنها تشبه القسوة التي يلقاها المهاجرون سواءً في هجرتهم أو في حياتهم الجديدة في بلد الأجانب إذ لا ترحب بهم الأرض الجديدة كما لا ترحمهم رمال الصحراء، ففي الأدب عموما الصحراء سوداوية حيث تعبر عن الانكسار والضياع و ضبابية المستقبل فهي تعد مكانا مفتوحا لكنها ليست مجرد فضاء جغرافي فقط بل تحمل دلالات رمزية متعددة كون اتساع الصحراء يوحي بنهاية والضياع، فهي مكان يفتقد الحدود الآمنة مما يعكس وضع الشخصيات التي تعيش في قلق وتشرد وعدم الاستقرار لأن هذا الانفتاح لا يمنح الحرية بل يعمق الإحساس بالضياع " نفحة حارة من نفحات الصحراء.[2]" فرغم أن الصحراء مكان مفتوح إلا أنها مكان رمزي للضياع والاختناق النفسي في الرواية.

أسبانيا: دولة تقع في جنوب غرب أوروبا عاصمتها مدريد تعد مكانا مفتوحا ومهما في الرواية لرمزها للهجرة والحلم الأوروبي فهي الوجهة التي يسعى المهاجرون المغاربة للهروب من الفقر والبؤس والبطالة في المغرب وهي رمزا للأمل والغربة كونها المكان الذي تلقي شخصيات الرواية آمالها مما يجعلها مكانا مفتوحا دلاليا لكنها أحيانا ترمز للخذلان لأنها لا تكون دائما كما يتخيلها المهاجرون " كل أسبوعين إلى تكديس بائسين راغبين في العبور إلى أسبانيا في مراكب قديمة غير صالحة للملاحة"[3] يدل هذا المقطع أن أسبانيا حلم الشباب المغاربة رغم الصعوبات والمخاطر التي يواجهونها للوصول إليها إلا أن الحلم الأوروبي يتحول إلى وهم مأساوي لأن أسبانيا لا تحقق الوعود، بل تكون سببا في مزيد من الألم والانكسار كون الشخصيات لا تجد نفسها في بلدها الأصلي ولا تحضن في البلد المضيف، فأسبانيا

1الطاهر بن جلون، أن ترحل ، ص 21 .

2المصدر نفسه، ص 201 .

3المصدر نفسه، ص 16 .

في الرواية ليست أرض الميعاد بل صورة لواقع الهجرة المر، حيث لا يجد المهاجر وطنا بديلا بل صراعا جديدا وتكشف قسوة الواقع العنصرية، الهامشية، والاستغلال خصوصا عازل و المهاجرين غير النظاميين في الرواية.

سبتة: مدينة مغربية الواقعة تحت الحكم والسيادة الأسبانية على الساحل المغربي على القارة الإفريقية، فهي مكانا مفتوحا من حيث الحلم والرمز لأنها تمثل في مخيلة الشخصيات بوابة الخلاص أو الأمل ورمزا للحدود والحلم الأوروبي، وتمثل في الرواية بوابة عبور نحو الفردوس الأوروبي لكنها في الحقيقة تكشف عن الخيبة والخطر والانكسار فهي نقطة انطلاق للعديد من المغاربة كشخصية عازل في الرواية الحالم بحياة أفضل فيصطدم بالواقع القاسي للهجرة و المستقبل المنتظر المجهول في الضفة الأخرى" بعضهم ينتشر على طول الطريق، وخاصة تلك المؤدية إلى سبتة مشيرين إلى السائقين وراكبي العربات بإشارات من أيديهم بأنهم يريدون طعاما.[1]" فشخصيات الرواية تنظر إلى سبتة كبوابة تمثل تداخل الأحلام بالكوابيس والانتماء للرفض لأنها مكان لا يمكن العبور منه دون أن يترك أثرا عميقا في الروح والجسد " لم يكن سكان المناطق الحدودية في حاجة إلى جواز سفر أو تأشيرة للدخول إلى سبتة المدينة المغربية المحتلة من قبل الأسبان منذ خمسمائة عام بطاقة الهوية وحدها هي تأشيرتهم للدخول.[2]"

المضيق: مضيق جبل طارق واحدا من أقوى الرموز الجغرافية والوجودية في الرواية ويشكل خلفية أساسية لتجربة الهجرة غير الشرعية خاصة الشباب المغاربة الذين يحاولون عبور البحر من أجل حلم الحياة في أوروبا ومن بينهم شخصية عازل في الرواية " وتخالجها ريبة بأن كنزة تكتم عنها الحقيقة وتخشى أن يكرر عازل محاولته اجتياز المضيق بطريقة غير شرعية.[3]" الواقع في أقصى شمال المغرب بين مدينة طنجة المغربية والجنوب الأسباني فهو يفصل بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي و بين إفريقيا وأوروبا، موقعه الجغرافي هذا جعله مركزا مهما في الرواية معتبرا أقصر وأخطر طريق للهجرة

1الطاهر بن جلون، أن ترحل ،ص259 .

2المصدر نفسه، ص 71 .

3المصدر نفسه، ص 69 .

غير الشرعية خاصة شباب شمال المغاربة الباحثين عن الحلم الأوروبي، مكان انتقال محفوف بالخطر من يعبر يغامر بحياته فيتحول البحر من رمز للحرية والانفتاح إلى قبر مائي يبتلع الأحلام كما يبتلع الأجساد، فالمضيق هنا اختبار نهائي يواجه فيه الإنسان القدر والمصير ولا يقين، فهو في الرواية ليس فقط ممرا مائيا بل فضاء رمزي مكثف للتمزق والعبور والموت فيقف عنده المغربي بين خيارين أن يغامر بكل شيء (حياته) أو أن يبقى في لا شيء (بلده المغرب).

ب.الأماكن المغلقة :

المقهى: مقهى الحافة المتواجد في طنجة ملتقى شباب المغاربة يعتبرونه كمرصد للأحلام "يتطلعون إلى البحر إلى الغيوم التي تختلط بالجبال، منتظرين تلألؤ الأنوار الأولى من جهة أسبانيا يتبعونها من دون أن يبصروها وأحيانا يبصرونها مكتنفة بالضباب والطقس الغائم.[1]" يدل هذا المقطع على أن مقهى الحافة مكان يتأملوا فيه الشباب ويشردون بأفكارهم نحو أوروبا لإيقاعه على حافة الجرف المطل على مضيق جبل طارق و هذا يجعله رمزا للحدود المكانية والنفسية ويمثل الهوة بين الواقع والحلم بين الفقر والغنى بين أن تبقى وأن ترحل، لذا يجتمع في مقهى الحافة الشباب الذي يحلم بالهروب والمثقف المحبط والذي يرى أن الزمن يعيد نفسه وكل من جلس في المقهى جلس ذات مرة على حافة قراره أو على حافة مصيره فهو مرآة للحلم المكسور مما يجعله مكانا مثاليا للتأمل، معظم شخصيات الرواية تمر بالمقهى أو تتأمل فيه حيث يجلس الشبان الحالمون بالهجرة يعبرون عن أمنياتهم و يسرحون أيضا حكاياتهم يحسبونه بابا مفتوحا إلى الخلاص لكنه لا يمنحهم سوى ملح الانتظار.

السجن: مكان مغلق وفضاء مركب، بلدي ورمزي في آن واحد فهو مكان القمع لكنه مرآة لانهيار الإنسان أمام الاستبداد والفقر والخذلان المجتمعي " إذا كانت له وسائله الخاصة في التعاطي مع إدارة السجن في طنجة، فهو على صلة بمديره و بعدد من الحراس الذين اعتادوا تلقي الرشوة منه حتى لو لم يكن أحد من رجاله نزيل السجن.[2]" هذا المقطع يدل على السجن الأمني في المجتمع المغربي حيث

1الطاهر بن جلون، أن ترحل ص 07 .

2 الطاهر بن جلون، أن ترحل، ص 16 .

يتم سجن رجال العافية الذين يقومون بتهريب الكيف و حتى تهريب الشباب المغاربة البائسين الراغبين في العبور إلى أسبانيا فيسجن رجال العافية المسببين في الآفات الاجتماعية كتهريب الكيف والهجرة السرية غير الشرعية، لتحقيق الأمن و التخلي عن هذه الآفات فالسجن في الرواية هو مكان حقيقي و مغلق موجود داخل الرواية أي له وجود فعلي خصوصا في السياق الاجتماعي والسياسي المغربي وليس مجرد رمز.

المدرسة: المدرسة مؤسسة تربوية وتعليمية تهدف إلى تنمية معارف ومهارات المتعلمين وتساهم في تكوين شخصيتهم وتربيتهم على القيم الاجتماعية والإنسانية وغرس القيم والانضباط والاعتماد على النفس فهي فرصة للترقي وتحقيق الذات، لكن في الرواية المدرسة لم تؤدي هذه الوظائف كاملة بل تظهر كمؤسسة معطلة أو ضعيفة الأثر في حياة الشخصيات كعازل ومليكه مما يبرز فشلها في احتضان الشباب وتوجيههم نحو مستقبل أفضل كونها مكان مغلق في الرواية وليس بالمعنى المادي فقط بل بالمعنى النفسي والرمزي أيضا لأنها تعجز التلميذ عن الحلم أو التقدم فتكون خطوة أولى نحو الانفصال عن الوطن والبحث عن أفق بديل حتى لو بمخاطر البحر" أرجو أن تكوني مازلت في المدرسة وأنك ستتابعين دراساتك العليا لكي تحظي بوظيفة محترمة. ما خططك للمستقبل الرحيل.[1]" هذا المقطع يدل على أن المدرسة في الرواية لا تقدم كمكان لصناعة الأمل أو فتح الآفاق بل كمؤسسة فاشلة في أداء دورها الحقيقي وكثير من الشباب كعازل ومليكة الصغيرة يدخلون المدرسة لكنهم يخرجون منها دون أفق واضح أو مؤهلات تساعدهم على تغيير واقعهم، وظفها بن جلون في الرواية ليعكس خيبة الأمل من مؤسسات الدولة ويؤكد أن الهجرة ليست فقط هروبا من الفقر بل أيضا من نظام تعليمي و اجتماعي لا يمنح الكرامة والمستقبل.

دارة ميكال: تصور الدارة في الرواية كمكان مغلق منعزل عن العالم الخارجي فهي مكان للراحة الجسدية والعلاج الفيزيائي وكونها مغلقة وهادئة يجعلها ترمز إلى الابتعاد عن صراعات الواقع سواء النفسية

1 المصدر نفسه، ص 113.

أو الاجتماعية "مكث عازل بضعة أيام في دارة ميكال ليستكمل علاجه."[1] هذا المقطع يدل على أن عازل واجه خارج الدارة التهميش والرفض والاحتقار وخاصة حادثة اغتصابه، بينما داخل الدارة يستقبل ويعالج ما يمنحها رمزية الاحتواء و الإنسانية في مقابل عالم خارجي قاس ولا مبال، وكذلك فهي ليست مجرد مكان للعلاج بل رمز للحماية المؤقتة والعزلة الضرورية لاستعادة الذات وهي تمثل مساحة للتحول الداخلي ومن خلالها يمر عازل بتجربة إعادة بناء الهوية والجسد أي أن إقامة عازل في الدارة يمكن اعتبارها كمرحلة انتقالية بين الانهيار وإعادة التوازن ما يجعلها رمزا لمخاض نفسي داخلي.

1الطاهر بن جلون، أن ترحل، ص 66 .

خـاتمة

خـاتمة

الحمد لله الذي بفضله وبنعمته أنجزنا هذه المذكرة من خلالها مقاربتنا لموضوع الهجرة والمنفى في رواية أن ترحل في أبعادها السوسيو ثقافية، باعتبارها تجربة إنسانية عميقة، تعكس الاغتراب النفسي والاجتماعي الذي يعيشه المهاجرون والصراع بين ثقافة الأصل وثقافة المهجر وبالتالي توصلنا إلى عدة نتائج:

- الدافع الأساسي للهجرة غالبا ما يكون قسريا لتحسين الظروف القاسية أو نتيجة الرغبة في تحقيق الذات وتطور المستوى التعليمي.
- الهجرة ليست نمطا واحدا بل تتنوع حسب الاتجاه والمدة والدوافع ولكل نوع آثار اجتماعية واقتصادية.
- الهجرة غير الشرعية ظاهرة معقدة تنطوي على انتقال الأفراد من دولة إلى أخرى دون الالتزام بالقوانين الرسمية وتصنف ضمن التحديات الكبرى التي تواجه الدولة.
- وضحت مقالات إدوارد سعيد أنّ ظاهرة المنفي لا تقتصر على العيش خارج الوطن بل تكمن في حالة دائمة من الحنين وعدم التخلص من الماضي.
- يعاني الشخص المنفي من شعور عميق بالغربة وعدم الانتماء والاختلاف حتى ولو حاوّلَ هذه الغربة إلى مصدر قوة وإبداع.
- الرحيل قد يكون هروبا من الواقع المرير الذي يعيشه الإنسان وأن الشخص المهاجر يواجه تحديات وصعوبات أكثر قسوة.
- تعكس شخصيات الرواية في أبعادها النفسية، الاجتماعية والثقافية تمزق الإنسان المهاجر بين الحلم بالرحيل وواقع الاستغلال والخذلان، فتكشف عن هشاشة الهوية وضياع الانتماء وفشل الهجرة كحل للخلاص خاصة بطريقة غير شرعية.
- يلعب الزمان والمكان دورا مهما في تشكيل المعنى والدلالة الزمنية حسب طبيعة الزمان أو المكان.

قـائمة المصادر والمراجع

المصدر

- الطاهر بن جلون، أن ترحل، ترجمة بسام حجار، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء/بيروت، الطبعة الأولى، سنة 2007

أولا المراجع باللغة العربية

1. أسعد عبد الحسين خنجر، الهجرة غير الشرعية وانعكاساتها على النظم السياسية في أوروبا ، العربي للنشر و التوزيع
2. أسمى الزهاد، أحاسيس في المنفى، دار الفارابي، بيروت/لبنان ، الطبعة الأولى، سنة 2021
3. جورج سالم، في المنفى ، منشورات عويدات، لبنان/بيروت، الطبعة الأولى ،سنة 1962
4. عبد الرحمن منيف، شرق متوسط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت/لبنان، ط1،سنة 1975
5. عبد الله ابراهيم ، الرواية العراقية الجديدة ، المنفى ، الهوية ، اليوتوبيا، العدد رقم 33 ، المغرب ، ط 1 ،يناير 2010
6. علي بدر، حارس التبغ، دار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت/لبنان، الطبعة الثانية، سنة 2009
7. محمد الشحات ، سرديات المنفى ، الرواية العربية بعد عام 1967، دار أزمنة للنشر والتوزيع ، عمان/الأردن ، ط 1 ،سنة 2006
8. محمد الشحات، سرديات المنفى، الرواية العربية بعد عام1967 ، دار أزمنة للنشر والتوزيع، عمان/الأردن، ط1 ، سنة 2006
9. محمد غربي (تنسيق)، الهجرة غير الشرعية في منطقة البحر الأبيض المتوسط، المخاطر و استراتيجيات المواجهة، دار الروافد الثقافية، الجزائر، 2014 ، ط1
10. محمود رجب، الاغتراب سيرة مصطلح، دار المعارف، القاهرة/ مصر، الطبعة الثالثة، 1988
11. الموسوعة العربية العالمية، المملكة السعودية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، سنة 1999.

12. يحي الجبور، الحنين و الغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان، دار مجد للنشر والتوزيع، عمان ـالأردن، ط1428،1 ه/2008 م.

ثانيا - المراجع المترجمة

1. إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، ترجمة محمد عناني ،القاهرة، دار للنشر والتوزيع، سنة 2006

2. إدوارد سعيد، صور المثقف، محاضرات ريث سنة 1993 ،ترجمة غسان غصن، دار النهار، بيروت، ط 3، سنة 1997 .

3. إدوارد سعيد، تأملات حول المنفى، ترجمة تائر ديب، دار الأدب، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، سنة 2007

ثالث - الدوريات

1. إسماعيل مهانة، "الهجرة والمنفى والأدب"، مجلة الثقافات،8 أكتوبر2015 .

2. أدب الهجرة و المنفى، مجلة فكر الثقافية، الثلاثاء 25 فبراير 2025 م، شعبان 1446

3. رضوان ضاوي ،ما هو أدب الهجرة، صحيفة عربية مستقلة، 10 أكتوبر 2022

رابعا- المعاجم العربية

1. ابن منظور لسان العرب، طبعة دار إحياء التراث العربى، بيروت لبنان 1999م.

2. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقياس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج5 ، دار الفكر، دمشق/ سوريا، 1399 ه/1979 م.

3. القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب أبادي، دار الفكر، بيروت،14ه 1999م

4. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، سنة 1429ه /2008م

خامسا-المواقع الإلكترونية

https://ar.wikipedia.org

قوية ـ صحتك النفسية

https://miel fi/ar

فهرس الموضوعـات

مقدمة.....أ

الفصل الأول أدب الهجرة والمنفى (المفـاهيم والتيمـات) 4

المبحث الأول: أدب الهجرة والمفاهيم المتعلقة به.....5

01-مفاهيم عامة 5

أ.مفهوم الهجرة 5

ب.مفهوم المنفى 5

ج.مفهوم الحنين: 6

-02أسباب الهجرة 7

-03أنواع الهجرة.....8

أ.الهجرة الدولية الخارجية :" 8

ب.الهجرة الداخلية:.....8

ج.الهجرة الطوعية الاقتصادي: 9

د.الهجرة القسرية: 9

ه.الهجرة الدائمة: 9

و.الهجرة المؤقتة: 10

ز.الهجرة النظامية: 10

ح.الهجرة غير نظامية: 10

04-المهاجرون وتصنيفهم 10

-05الهجرة غير الشرعية: 11

06-موضوعات أدب الهجرة.....13

المبحث الثـاني: أدب المنفى مفاهيمه وموضوعاته: 17

01-النفي وأثاره.....19

02-تجربة النفي وتأثيراتها على الإنسان: 19

03-أنواع النفي 20

04-مفهوم رواية المنفى 23

05-الروايات التي تتحدث عن المنفى 24

-06قضايا المنفى في الرواية 25
أ.ظاهرة الفقر والقهر.....25
ب.قضية حب الوطن والأم: 25
ج.قضية المرأة والمجتمع 26
د.القيم الدينية والأخلاقية 26
ه.قضية الهوية والانتماء:.....27
و.الحنين إلى الوطن.....27
07 الأبعاد الثقافية التي تعكس تجربة المنفى في الرواية : 27
أ.الصراع الثقافي والهوية.....27
ب.الذاكرة والتراب.....28
ج.اللغة والتعبير 28
08-نماذج روائية عن موضوع المنفى:.....30
أ.رواية " في المنفى " لجورج سالم. 30
ب.فتناولت هذه الرواية عدة جوانب اجتماعية أبرزها : 31
الفصل الثـاني: الأبعـاد السوسيو ثقـافية في رواية أن ترحل للطاهر بن جلون 37
المبحث الأول: التعريف بالروائي ومضمون الرواية والقضايا الاجتماعية في رواية الطاهر بن جلون..... 38
01-حياة طاهر بن جلون 38
02-مؤلفاته 38
03-أهم أعماله: 39
04-مضمون الرواية.....39
05-القضايا الاجتماعية في رواية الطاهر بن جلون:.....42
أ.قضية الهجرة والاغتراب:.....42
ب.قضية الفقر والبطالة:.....43
ج.قضية الاستغلال والعنف: 44
د.قضية تفكك الأسرة والعلاقات الاجتماعية:.....45
ه.قضية الحلم والخيبة: 46
و.قضية الشعور بالوحدة وصعوبة الاندماج:.....46

ز.قضية التهميش الاجتماعي والتميز العنصري: 47
ح.قضية الجنس والدعارة: 47
المبحث الثاني: أحداث الرواية وأبعاد الشخصيات في الرواية..... 49
-01أحداث الرواية..... 49
أ.بداية الحدث 49
ب.الواقع البائس والمرير الذي يعيشه شباب المغرب : 49
ج.استغلال المهربين للشباب في الهجرة غير الشرعية : 50
د.تأثر عازل في موت ابن عمه نور الدين :..... 51
ه.محاولة عازل الحصول على تأشيرة الإسبانية" الهجرة غير شرعية" 51
و.دخول عازل إلى السجن : 52
ز.نجاح عازل في تحقيق حلمه بالهجرة إلى إسبانيا :..... 53
ح.مغادرة عازل للمغرب وطن الأم :..... 54
ط.زيارة عازل للمغرب ومساعدة أخته في الهجرة..... 55
ي.تحول عازل إلى مخبر للشرطة الإسبانية:..... 56
ك.اكتشاف أمر عازل وقتله آخر بطريقة وحشية على يد المسلمين : 56
-02الشخصيات الرئيسية: 57
أ. عازل: 57
ب.سهام 59
ج. كنزة : 61
03-الشخصيات الثانوية 63
أ. ميكال:..... 63
ب.العافية..... 65
ج.للاّ زُهرة:..... 66
د. نور الدين:..... 67
ه. محمد العربي : 67
و. الحاج:..... 68
ز. مليكة: 68
ح.سمية: 69

ط.موحا.....69
ي.إسماعيل: 70
ك.عبد السلام : 70
ل.عباس: 71
م. ناظم:.....72
ن.غابريال:.....72
س.فلوبير:.....73
المبحث الثالث : الزمان والمكان في الرواية 74
01-الزمن: 74
أ. الزمن الواقعي: 74
ب.الزمن النفسي: 75
ج.الزمن التذكري/ الاسترجاعي: 76
-02المكان: 77
أ. الأماكن المفتوحة:.....77
ب.الأماكن المغلقة : 80
خـاتمة..... 83
قـائمة المصادر والمراجع 85
فهرس الموضوعـات 89
ملخص 94
***RÉSUMÉ*..... 95**

ملخص

الرواية انعكاس لما يحدث للإنسان في المجتمع وهي من أكثر أشكال الأدب قدرة على التعبير عن التحولات النفسية والاجتماعية والثقافية إذ اعتمدنا في بحثنا على دراسة سوسيوثقافية طبقناها على رواية "أن ترحل" للطاهر بنجلون لمعالجة أبعادها الاجتماعية والثقافية.

تناولنا في المذكرة موضوع الهجرة والمنفى من منظور سوسيوثقافي، حيث تطرقنا إلى المفاهيم الأساسية المتعلقة بالهجرة والمنفى، أسباب الهجرة وأنواعها بالإضافة إلى أدب الهجرة وأدب المنفى وبعض الروايات التي تتعلق بالمنفى.

قمنا بتحليل رواية الطاهر بنجلون " أن ترحل" بداية بعرض مضمونها وملخص شامل لها مع ذكر أهم الأحداث وأبعادها الثقافية والاجتماعية، كذلك القضايا المطروحة والشخصيات الأساسية والثانوية مع تحديد بعدها النفسي والاجتماعي والثقافي، وذكر دلالة ورمزية الزمان والمكان في الرواية، بهدف إبراز تمثلات تجربة الهجرة والمنفى في النص الأدبي.

تعكس رواية الطاهر بنجلون واقع الهجرة والمنفى كنتاج لأزمات اجتماعية ونفسية، وتبرز آثارها على هوية الفرد وانتمائه.

الكلمات المفتاحية :الهجرة، المنفى، الاغتراب الثقافي.

Résumé

Le roman est le reflet de ce qui se passe pour l'homme dans la société, et il constitue l'une des formes littéraires les plus aptes à exprimer les transformations psychologiques, sociales et culturelles. Dans notre recherche, nous nous sommes appuyés sur une étude socioculturelle appliquée au roman "*Partir*" de Tahar Ben Jelloun afin d'analyser ses dimensions sociales et culturelles.

Nous avons abordé dans ce mémoire le thème de la migration et de l'exil d'un point de vue socioculturel, en examinant les concepts fondamentaux liés à la migration et à l'exil, les causes et les types de migration, ainsi que la littérature de la migration et de l'exil, en citant quelques romans traitant de cette thématique.

Nous avons analysé le roman "*Partir*" de Tahar Ben Jelloun, en commençant par présenter son contenu et un résumé complet, tout en mentionnant les événements principaux et leurs dimensions culturelles et sociales. Nous avons également étudié les problématiques soulevées, les personnages principaux et secondaires, en précisant leurs dimensions psychologiques, sociales et culturelles, ainsi que la symbolique du temps et de l'espace dans le roman, dans le but de mettre en lumière les représentations de l'expérience migratoire et de l'exil dans le texte littéraire.

Le roman de Tahar Ben Jelloun reflète la réalité de la migration et de l'exil comme résultantes de crises sociales et psychologiques, tout en soulignant leurs effets sur l'identité et l'appartenance de l'individu

Mots clé : : exile, aliénation culturelle, migration